



ديوان الوقف الشيعي
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

منهج ابن شهر آشوب في تفسيره متشابه القرآن والمختلف فيه

(رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير)

تأليف

الشيخ مهند الكعبي







اسم الكتاب: منهج ابن شهر آشوب في تفسير متشابه القرآن والمختلف فيه

المؤلف: الشيخ مهند الكعبي

تقويم ومراجعة: الشيخ ضياء بلاسم سعدون / الشيخ حسين القريشي

إخراج: علي سعدون كاظم

نشر وإشراف: العتبة الحسينية المقدسة / دار القرآن الكريم فرع قم المقدسة

المطبعة: زلال كوثر

الطبعة: الأولى ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

عدد النسخ: ٥٠٠

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ

آل عمران: ٧

كلمة الناشر

يستأثر (المحكم والمتشابه) بمكانة متميزة في علوم القرآن، ويمثل شغلا شاغلا للباحثين والدارسين، وفي دور بالغ الأهمية في الدراسات القرآنية التي توفرت عليها محابر وعقول بذلت الجهد الجهيد في سبيل فهم وتطوير مقاصدها ومناهجها، وهو ما أثرى المكتبة القرآنية بكنوز نفيسة يزدهي بريقها ويتألق شعاعها آونة بعد أخرى على مدى عقودٍ وقرونٍ من ثراء التاريخ الإسلامي المجيد.

وفي هذه الدراسة الجامعية، التي تأتي ضمن إصدارات العتبة الحسينية المقدسة - دار القرآن الكريم، فرع قم المقدسة -، ضوء باهر سلطه الباحث على فكر وطريقة ومنهج واتجاه علمٍ كبير في التفسير هو الشيخ محمد بن شهر آشوب المازندراني الذي يعد أيضاً من أفاضل الفقهاء والمحدثين ذوي الفهم والورع والتقوى في القرن السادس الهجري، فضلاً عن كونه شاعراً مبدعاً ومجدداً، ومن ذوي الاهتمام بالرجال والأنساب، كما وصفه السيد التفرشي بالقول (كان شاعراً بليغا منشئاً.. وله كتب منها: كتاب الرجال، وكتاب أنساب آل أبي طالب عليه السلام).

لقد عُنيَ الباحث في رسالته بدراسة مواضيع محورية من قبيل المعنى القرآني للمتشابه، والعلاقة بين المحكم والمتشابه، وتأويل المتشابه، وعلم تأويل المتشابه، فضلاً عن رأي ابن شهر آشوب الباعث على الاهتمام في معنى المتشابه، وسوى ذلك من العناوين المتشعبة في الحقل ذاته وهو ما يمثل إضافة واضحة، ومدداً

جديداً، وبصمة رائدة في موضوع الدراسة الذي ندرت فيه التأليفات وشحت حوله التصنيفات.

إن هذه الخطوة هي الأولى على طريق بذل دار القرآن كريم عنايته الفائقة للدراسات الجامعية والرسائل الأكاديمية، ولكنها، إن شاء الله تعالى، لن تكون الأخيرة، طالما كانت البحوث والرسائل والاطروحات خاضعة للشرطين الأساس، وهما: امتياز التقدير، وفرادة الموضوع.

والله من وراء القصد

ملخص البحث

جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على موضوع قرآنيّ حساسٍ، دار البحث والنقاش حوله في أروقة العلماء والمتخصّصين من أهل التفسير، ألا وهو موضوع التشابه في القرآن، والاختلافات المنهجية المترتبة جرّاء تأويل النص القرآني. فيأتي بحثنا المتواضع للكشف عن أحد تلك المناهج المتّبعة لتأويل الآيات المتشابهة لعالمٍ برز في القرن السادس الهجري. ولتحقيق الهدف من هذه الرسالة، استخدمنا فيها المنهج التحليلي الوصفي، لبيان أهمّ المعالم المنهجية لكتاب «متشابه القرآن والمختلف فيه». وعليه فتأتي رسالتنا وهي تحمل همّ الدراسة والبحث حول ما جاء في الكتاب وبيان منهج مؤلّفه في تأويل المتشابه، هذا بالإضافة إلى كشف المكونات الفكرية للعقلية التفسيرية للمؤلّف. وبناءً على ذلك، فقد أشرنا إلى العوامل الرئيسة المؤدّية إلى تنوّع المناهج التفسيرية واختلاف العلماء في تأويل المتشابه، ثمّ توقّفنا على أهمّ محطات حياة المؤلّف وتراثه العلمي الثرّ، بعد ذلك قمنا بعرضٍ لأهمّ المفردات التي لها ربط في موضوع البحث، ثمّ وقفنا عند مقدّمة الكتاب وما تحويه من أبحاث مهمّة، ومن ثمّ قمنا بعرضٍ شاملٍ ووافٍ لتركيبية الكتاب وأبوابه المختلفة، وبعدها بيّنا طبيعة المنهج العام الذي اعتمده ابن شهر آشوب في تأويل المتشابه والآليات التي كان يقيم تميزاته للآيات المتشابهة وكيف تعاطي معها. وقد مهّدنا لذلك بعدّة مواضيع لها ارتباط وصلة وثيقة بهذا المبحث؛ كعوامل نشوء التفاسير وأقسامها ومناهجها، وذكرنا

نموذجين تطبيقيين لتقسيمات بعض المتخصصين لمناهج التفسير، وقد حرصنا على استكشاف مكونات المنهج الآشوبي، وذلك من خلال تقصي المصادر والمراجع المعتمدة والمساهمة في تكوين أفكار ابن شهر آشوب ومخزونه التفسيري، ومن بعدها عكفنا على إبراز القيمة العلمية لكتاب متشابه القرآن في الفكر الإمامي اللاحق على تأليفه، ومدى حضوره وتأثيره في الأوساط الفكرية، وتقييمات العلماء له.

مقدمة المؤلف

من المواضيع الحساسة التي احتلت مساحة واسعة من البحث والجدال بين المفسرين هو معنى المتشابه والمحكم، فقد أفرز هذا البحث اختلافاً واسعاً بين المدارس الإسلامية على مختلف توجهاتها الفكرية والعقدية.

ولما كان موضوع المتشابه في القرآن من المواضيع التي احتدم فيها النقاش، فقد تباينت مقالات العلماء بخصوصه، شرحاً وتفسيراً وتأويلاً.

إنّ التباين الحاصل بين المفسرين في استنطاق الآية السابعة من سورة آل عمران، أدّى إلى ظهور قراءتين مختلفتين لمفهوم المتشابه وآليات تأويله، تراوحت بين القبول والرفض، تبعاً لقراءة (العطف) أو (الاستئناف)، وأنه هل يمكن أن يطل المتشابه بالفهم والإدراك أم أنّ من يعلمه هو الله فقط ؟

وتعتبر مرجعية أهل البيت العلمية من أهمّ المرجعيات التي كان لها أثر بارزٌ وجليٌّ في فهم مقاصد القرآن وتفسيره، حيث تأكّد هذا الدور في بيان وتوضيح المفاهيم القرآنية، خصوصاً ما يخصّ موضوع (المحكم والمتشابه)، وما يرتبط به من بيان معانيه وآليات تأويله.

و للاختلاف جذور تاريخية بدأت من ظهور الفتن في أوساط المجتمع الإسلامي آنذاك، وعوامل أخرى كان لها أثر فعّال في تعميق هوة الصراع بين العلماء والمفسرين على اختلاف اتجاهاتهم المعرفية، وكانت لتلك العوامل

صبغات متعدّدة؛ فمنها دينية، وأخرى سياسية، وثالثة اجتماعية، وهكذا. ورغم أسباب هذا الاختلاف وتعدّد عوامله، فإنّه بالدرجة الأولى يؤوّل إلى التمايزات المنهجية المتنوعة والآلية المتّبعة التي يحسم بها المفسّر موقفه تجاه الآيات القرآنية الكريمة.

ولا يختصّ موضوع المناهج بعلمٍ دون آخر، بل يرتبط بأغلب العلوم التي لها صلة وعلاقة بالمعرفة الإنسانية.

ومن هنا أصبح ضرورة على الباحث في مجال دراسته لمنهج تفسيرٍ ما أن يحدّد الخطوط العامة لذلك المنهج، وأن يبيّن الخطّة التي سار عليها والقواعد والأسس التي اعتمدها.

وقد وقع خلط في أوساط بعض المتخصّصين بالدراسات القرآنية بين الأصول والمرتكزات (المباني)، وبين الأسلوب والمنهج؛ إذ تتعامل تلك الدراسات أحياناً مع الأصول والمباني على أساس أنّها مناهج، في حين أنّ المطلوب هو تمييز الأصول والمباني، ثمّ بيان المنهج.

لهذا نجد أنّ هناك نزعات تفسيرية تظهر عند بعض المفسّرين يطغى فيها اختصاص صاحبها، ليخرجها من دائرة البحث التفسيري إلى عنوان آخر في العلوم والمعارف التي يختصّ بها، وقد يسقط عليها لفظ التفسير تعسفاً.

ومن بين مئات المؤلّفات المختصّة في موضوع التشابه في القرآن يطلّ علينا ابن شهر آشوب بكتابه الموسوم (متشابه القرآن والمختلف فيه) الذي يمثل ثقافة كلامية تفسيرية مهمّة، ومحاولة جادة لتأويل المتشابه.



وقد جاء بحثنا بخصوص هذا الموضوع مشتملاً على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

بيان موضوع البحث

إنّ مدارس التفسير عديدة، وتياراتها واتجاهاتها منوّعة، فمنذ الفجر الأوّل للإسلام وحتى عصرنا الحاضر برز الكثير من المفسرين، وكُتبت مئات التفاسير، فاختلقت بذلك المناهج في فهم القرآن وتفسيره.

وعلى غرار هذا، لابدّ من معرفة الاتجاهات التفسيرية ومدارسها، والوقوف على منهاج أصحابها وتوجّهاهم.

ومن الواجب على الباحث في هذا المجال معرفة المفسّر الذي يتناوله بالبحث والدراسة معرفة تفصيليّة، بدءاً من حياته وما يتعلّق بها، وانتهاءً بالوقوف على معرفة منهجيّته ونتاجه وجهوده وهدفه من التفسير.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتبيّن التوجهات المنهجية الأساسيّة التي اعتمدها ابن شهر آشوب في تصوّره للمتشابه والآليات المتبعة في تأويلاته للآيات المتشابهة.

وتكشف هذه الدراسة أيضاً عن مكوّنات المنهج الآشوبي، ومدى علاقته بالأفكار والمناهج السابقة عليه، والتي عوّل عليها المصنف واعتمدها مصدراً ومرجعاً قامت عليه معلوماته التفسيرية واللّغوية والحديثيّة في تأليف كتاب (متشابه القرآن ومختلفه).

فبناءً على ما تقدّم، جاء بحثنا تحت عنوان (منهج ابن شهر آشوب في تفسيره

متشابه القرآن ومختلفه)، إلا أننا في أثناء فترة كتابة البحث عثرنا على نسخة أخرى لهذا الكتاب تحت عنوان (متشابه القرآن والمختلف فيه) في خمسة أجزاء، وكان الكتاب عبارة عن نسخة محققة ومنقحة، وقد حُرِّجت المصادر الواردة في مضامينه. وقد اعتمدنا على هذه النسخة في دراسة المنهج الآشوبي.

والذي نعتقد أنه عنوان (متشابه القرآن ومختلفه) تورد عليه ملاحظتان:

الأولى: مخالفته لما نصَّ المؤلف في عنوانه كتابه الذي بينه في خاتمة الكتاب قائلاً: « هذا آخر كتاب متشابه القرآن والمختلف فيه ».

الثانية: مخالفته لقواعد اللغة العربية، فالفعل (اختلف) فعل لازم، فلا يكون مرفوعه - عند بنائه للمفعول - إلا ظرفاً، أو جازماً ومجروراً، أو مصدرأً مقيداً، ولذلك فإنَّ قولنا: (المختلف فيه) يكون صحيحاً وموافقاً للقاعدة، لوجود الجار والمجرور (فيه) عوضاً عن الضمير المضاف. وعليه، فالأفضل أن يكون بحثنا تحت عنوان (منهج ابن شهر آشوب في متشابه القرآن والمختلف فيه).

ضرورة البحث وأهدافه

ألف عدد غير قليل من العلماء في موضوع التشابه، وكل ذلك جاء خدمةً للكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تباينت مناهجهم في تأويل التشابه؛ نظراً لاختلاف مبانيهم العقيدية، وآلياتهم التي وظفوها في موضوع تأويل التشابه.

وتعدّ دراسة ابن شهر آشوب للآيات المتشابهة وحلّ معضلاتها، من الدراسات المعمّقة في التاريخ الشيعي الثقافي، حيث لم يقتصر فيها على الآيات المتشابهة؛ بل تجاوزها إلى ما اختلف فيه العلماء والفقهاء في مسائل الفقه



وأصوله، والناسخ والمنسوخ، وما جاء عن طريق النحو والبلاغة. لذلك عنون كتابه بـ (متشابه القرآن والمختلف فيه)، ليكون محيطاً وملماً بمضامينه.

ويأتي هذا البحث لتسليط الضوء على عالمٍ شيعيٍّ بارزٍ، لإعطائه ما يستحق من الدراسة والتحليل، بالإضافة إلى تشخيص مفهوم التشابه عنده، والوقوف على تحديد منهجه في دراسة الآيات المتشابهة أو التي ادّعي وقوع الاختلاف فيها. ويتفرع عن هذا الهدف العام، الأهداف الفرعية التالية:

- ١- الوقوف على مفهوم التشابه ومعناه في القرآن الكريم.
- ٢- معرفة سبب اختلاف العلماء والمفسرين في تأويل التشابه.
- ٣- علاقة التشابه بالتأويل وحاجته إليه، للكشف عنه وإزالة الغموض والإبهام الحاصل في بعض ألفاظ القرآن ومعانيه.
- ٤- معرفة أقسام التشابه في القرآن.
- ٥- معرفة الحكمة من حصول التشابه في القرآن الكريم.
- ٦- معرفة التفاسير وسبب الاختلاف في مناهجها عند العلماء.
- ٧- العلم بأبرز أسباب التشابه في القرآن الكريم.
- ٨- الوقوف على المصادر التفسيرية واللغوية التي ساهمت في تكوين العقلية التفسيرية عند ابن شهر آشوب.

سبب اختيار الموضوع

إن من أهم الأسباب التي دعنتني إلى اختيار هذا الموضوع هي:

- ١- أهميّة كتاب (متشابه القرآن والمختلف) فيه المتمثلة في شموله

وموسوعيّته، الأمر الذي كفل له استيعاب جهود السابقين عليه، سواء من العلماء المعنيين بالقرآن وعلومه وما يرتبط به من مباحث التفسير والتأويل، أو من المعنّين بسائر العلوم العربية والإسلامية.

٢- الرغبة الملحة في إظهار هذا الكتاب وبيان منهج صاحبه فيه، بما يبرز قيمته العلمية للباحثين والدارسين، وذلك إتماماً للفائدة وتعميماً للنفع.

منهج البحث

اعتمد عرضنا لأفكار ومعلومات ابن شهر آشوب التفسيرية على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تحليلنا لمضمون الكتاب، ووصفنا للقارئ تركيبته وتوزيع المؤلف لأفكاره على الفصول، بالإضافة إلى بيان وتحليل الخصائص التفسيرية وكيفية التعاطي مع الآيات المتشابهة والوسائل المستخدمة في تأويلها، كما استخدم البحث المنهج التاريخي الذي يكشف لنا العوامل المؤثرة في تكوين فكر ابن شهر آشوب القرآني، وتوضيح مواقفه من العلماء السابقين عليه.

الجديد في البحث

تأتي أهمية البحث من كون الآيات المتشابهة مثار خلافٍ دائمٍ في تأويلها وتفسيرها بين دارسي القرآن، فإيضاح المنهج عند أحد أعلام دارسي القرآن يقلل من هذا الخلاف، ويهدي إلى تقارب وجهات النظر، على أن الآيات المتشابهة طالما كانت محطّ استغلال بعض التيارات المنحرفة عقائدياً، أو فكرياً، فإذا أوضحنا المنهج في معالجة وفهم هذه الآيات، نكون قد قطعنا الطريق على أمثال التيارات المشار إليها.



المعوقات والمشاكل

لا تخلو أغلب الدراسات والأبحاث من العراقيل والعوائق التي تحدّ من حركة الباحث، وقد صادفتني خلال البحث بعض العقبات، وتجاوزتها بحمد الله وفضله، منها: قلة البحوث والدراسات في الموضوع. وقد اتخذت من تفسير (متشابه القرآن والمختلف فيه) حقلاً وميداناً للدراسة.

ومنها: سعة المادة المدروسة وتوزّعها على كل الكتاب، بالإضافة إلى تنوع الموضوعات وامتدادها إلى أكثر من حقلٍ معرفي. هذا، وقد بذلت فيه غاية الوسع، ومنتهى الجهد. وأرجو أن أكون قد وفّقت في ذلك، وحسبي أنّي لم أقصّر في دراسة هذا الموضوع بوقتي وجهدي، وأرجو أيضاً أن أكون - بهذه الرسالة - قد قدّمت إلى مكتبة التفسير وعلوم القرآن بحثاً جاداً في معالجة القضايا الأساسية المطروحة في هذا المجال.

خطة البحث وتقسيماته

جاءت هذه الرسالة في مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة. كانت المقدّمة عبارة عن العوامل المؤدّية إلى الاختلاف في تحديد مفهوم المتشابه في القرآن، وتباين المناهج التي تناولته بالبحث والدراسة، وبالتالي أدّى هذا الاختلاف إلى تباين وجهات النظر في الوقوف على معنى المتشابه وآليات تأويله. وقد تضمّنت المقدّمة - أيضاً - بيان الموضوع، وأهمّيته، وضرورة بحثه، والأهداف المتوخّاة منه.

أمّا الفصل الأوّل، فقد اشتمل على ثلاثة مباحث تمهيدية، تطرّقنا في المبحث الأوّل إلى قبساتٍ من حياة ابن شهر آشوب، المتمثّلة في: اسمه، ونسبه، وولادته

ووفاته، وكلمات أصحاب التراجم والعلماء بحقه. كذلك، قمنا بعرض آثاره العلمية المتنوعة في شتى ميادين العلم والمعرفة الدينية، وذكرنا بعد ذلك أسماء أساتذته ومشايخه الذين تتلمذ على أيديهم، واغترف العلم من مناهلهم ومخزوناتهم، كما تطرّقنا بعد ذلك إلى دواعي تأليف الكتاب وظروفه وصعوباته. هذا كلّه في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل.

وأما المبحث الثاني، فجاء شرحاً وتوضيحاً لأهمّ المفاهيم والمصطلحات في الرسالة، ويقوم البحث على أساسها، كتعريفنا للمتشابه والمحكم والمختلف لغةً واصطلاحاً، وبيّنا أيضاً أقسام المعاني القرآنية للتشابه، والعلاقة بين المحكم والمتشابه، وذكرنا في هذا الصدد أهمّ الكتب المؤلّفة في متشابه القرآن على مرّ العصور السابقة.

ومن ثمّ، يأتي المبحث الثالث الذي جاء تحت عنوان (تأويل المتشابه)، وقد تكفّل هذه المبحث في بيان الحاجة الملحة للتأويل للكشف عن ملاسبات المتشابه وغوامضه، فقد بيّنا معنى التأويل لغةً واصطلاحاً واختلاف العلماء في بيان معناه، كما أشرنا في هذا المبحث إلى آراء العلماء ومواقفهم المتباينة من قضية تأويل المتشابه، وقراءتهم المتعددة للنص القرآني الشريف. هذا كلّه في الفصل الأوّل.

وقد جاء الفصل الثاني تحت عنوان (تحليل مضمون الكتاب وبيان منهج المؤلّف فيه). وقد ربّب على مبحثين: في المبحث الأوّل توقّفنا قليلاً على مقدّمة الكتاب وسلطنا الضوء على الأبحاث التي تخصّ مفهوم المتشابه، كمعنى المتشابه في القرآن، والحكمة من حصوله. بعد ذلك تطرّقنا إلى ذكر أبواب الكتاب، وهنا قمنا بعملٍ توصيفيّ أوضحنا للقارئ فيه تركيبة الكتاب وتوزيع المؤلّف أفكاره على أبواب الكتاب العشرة.

ومن ثمّ، جاء المبحث الثاني الذي كان تحت عنوان (خصائص ومميّزات منهج ابن شهر آشوب في تفسير القرآن). وقبل دخولنا إلى صلب المبحث مهّدنا له بعدة مواضيع مهمّة، لها مدخلية وصلة فيه، كعوامل نشوء التفاسير وأقسامها، ومناهجها، وأسباب تنوعها، وذكرنا بهذا الصدد نموذجين لبعض تقسيمات المناهج، بعد ذلك دخلنا في صلب البحث، وتركز كلامنا على بيان التوجّهات المنهجية الأساسية التي اعتمدها ابن شهر آشوب في تصوّره للمتشابه والمختلف فيه، وآلياته التي كان يقيم تمييزاته بين الآيات المتشابهة وتأويلاتها.

وأما الفصل الثالث، والذي جاء تحت عنوان (مصادر كتاب متشابه القرآن وحضوره في كتب الشيعة)، فقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين: في المبحث الأوّل قمنا بتحليل أكثر عمقاً لما وراء المنهج الآشوبي، فكان عملنا على استكشاف مكونات هذا المنهج، فوقفنا على أهمّ المراجع والمصادر التي أهتمت، والتي كانت مؤثّرة في تكوين أفكاره وثقافته التفسيرية. وكان عنوان هذا المبحث (المصادر الرئيسة في الكتاب).

ومن ثمّ جاء المبحث الثاني، والذي يحمل عنوان (حضور متشابه القرآن في كتب الشيعة الإمامية)، لإبراز القيمة العلمية والمعرفية لكتاب متشابه القرآن في الأوساط العلمية التالية لعصره، ومن بعدها ذكرنا النتائج والتوصيات في الخاتمة.

الفصل الأول

مباحث تمهيدية

وفيه:

- المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وحياته
- المبحث الثاني: تعريف التشابه والمُحكّم وحقيقتهما
- المبحث الثالث: تأويل التشابه

المبحث الأول

التعريف بالمؤلف وأثاره

اسمه ونسبه

هو الشيخ الإمام الفقيه محمد بن علي، بن شهر آشوب، بن أبي نصر، بن أبي الجيش السروي المازندراني، الفقيه المحدث، والمفسر- والأديب البارع، لُقّب بـ(رشيد الدين) و(عزّ الدين)، وكان ينتمي إلى عائلة علمية معروفة بالتقوى والفضيلة والعلم. وقد تلقّى العلم عن جدّه شهر آشوب، المعروف بـ(ابن كياكي)، وكان فاضلاً محدّثاً، ممّن سمع وروى عن الشيخ الطوسي، كما تلقّى العلم عن أبيه علي بن شهر آشوب، الذي كان - أيضاً - من الفقهاء المحدثين والفضلاء في عصره.

وقد صرّح ابن شهر آشوب أنّه كان يروي عن جدّه بلا واسطة، فإنّه سمع من لفظه من صغره، كما صرّح بهذا في كتابه المناقب^(١).

ولادته ووفاته

لم نعثر في مصادر وكتب أرباب المعاجم التي تعرّضت لحياة المؤلّف على تحديد تأريخ ولادته، غير أنّ كلّ من ترجمه ذكر أنّه قد توفّي في شعبان، سنة

(١) انظر: المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٣. أمل الآمل، الحرّ العاملي،

٥٨٨هـ، وله من العمر تسع وتسعون سنةً وشهران، فتكون ولادته - بناءً على هذا - في جمادي الثانية، سنة ٤٨٩هـ..

كلمات العلماء وأصحاب التراجم بحقه

قبل الولوج في هذا الموضوع وتفصيلاته، أردتُ الإشارة إلى أن ابن شهر آشوب قد تعرّض في (كتابه معالم العلماء) - الذي هو تتمّة لكتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي - إلى شيء مختصر جداً لترجمة نفسه، مقتصرًا على ذكر اسمه وأسماء كتبه فقط، وذلك في باب الميم في كتابه المشار إليه^(١).

وقد دأب الكثير من العلماء وأصحاب التراجم في مختلف المذاهب على تناول حياة ابن شهر آشوب، بشكل يعطي للباحث صورة واضحة وجليّة حول مسيرته العلمية والفكرية الزاخرة، بالرغم من الصعوبات التي واجهها أثناء تنقله المستمر من بلدٍ إلى آخر، والمضايقات التي مرّت به أثناء سفره من قبل السلطات الحاكمة آنذاك، إلا أن ذلك لم يثنه عن مواصلة العطاء العلمي، من خلال سعيه الدؤوب والمتواصل لطلب العلم والتدريس والتأليف إلى آخر حياته الشريفة.

ونحن في هذا الصدد نستعرض جملة من علماء المسلمين على مختلف توجّحاتهم المتنوّعة، وكيف تناولوا حياة ابن شهر آشوب وسيرته العلمية.

أ) كلمات علماء الشيعة في حقّ المؤلّف

أطرى جملة من علماء الشيعة في تراجمهم على سيرة الشيخ ابن شهر آشوب في

(١) انظر: المازندراني، محمد بن علي، معالم العلماء، ص ١١٩.



كتبهم وترجماتهم المتنوعة، وبالرغم من اختلاف تلك المصادر وتباعدتها من حيث الزمان والمكان، إلا أن هناك شبه اتفاق فيما تناولوه من طبيعة حياة ابن شهر آشوب العلمية والاجتماعية، حيث إننا لم نجد فرقاً ملموساً في أمهات الكتب والتراجم الشيعية من خلال تتبعنا بشكل دقيق ووافي.

وقال السيد التفرشي مطرياً عليه: «محمد بن علي بن شهر آشوب، المازندراني رشيد الدين، شيخ في هذه الطائفة وفقهها، وكان شاعراً بليغاً منشئاً، روى عنه: محمد بن عبد الله بن زهرة، وروى عن محمد وعلي ابني عبد الصمد. له كتب، منها: كتاب الرجال، وكتاب أنساب آل أبي طالب عليهم السلام»^(١).

وذكر الحرّ العاملي - أيضاً - في كتابه (أمل الآمل) قائلاً: «الشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السروي. كان عالماً فاضلاً ثقة محدثاً محققاً، عارفاً بالرجال والأخبار، أديباً شاعراً جامعاً للمحاسن، له كتب، منها: كتاب مناقب آل أبي طالب، كتاب مثالب النواصب، كتاب المخزون المكنون في عيون الفنون، كتاب أعلام الطرائق في الحدود والحقائق، كتاب فائدة الفائدة، كتاب المثال في الأمثال، كتاب الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول، كتاب الحاوي، كتاب الأوصاف، كتاب المنهاج، وغير ذلك... وهو يروي عن جدّه شهر آشوب عن الشيخ الطوسي»^(٢).

(١) التفرشي، مصطفى بن الحسين، نقد الرجال، ج ٤، ص ٢٧٦.

(٢) الحرّ العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، أمل الآمل، ج ٢، ص ٢٨٦. وراجع: التفرشي، مصطفى

بن الحسين، نقد الرجال، ج ٤، ص ٢٧٦.

ب) كلمات علماء السنّة في حقّ المؤلّف

نستعرض في هذه النقطة مجمل آراء علماء أهل السنّة في ترجمتهم لابن شهر آشوب وإطراءهم عليه بمختلف المديح والثناء؛ وذلك لنبوغه العلمي والتتاج المعرفي الذي خلفه؛ إذ أغنى المكتبة الإسلامية بأنواع الكتب والمصنّفات العلمية المتنوّعة في مختلف حقول المعرفة.

ومن العلماء الذين تعرّضوا لترجمة حياته: الصفدي، حيث قال: «رشيد الدين المازندراني الشيعي، محمد بن علي بن شهر آشوب - الثانية سين مهملة - أبو جعفر السروري المازندراني رشيد الدين، الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يرحل إليه من البلاد، ثمّ تقدّم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه... تُوفي سنة ثمان وثمانين وخمس مائة. ومن تصانيف المازندراني: كتاب في النحو سمّاه: الفصول، جمع فيه أمّهات المسائل، وكتاب المكنون المخزون في عيون الفنون، كتاب أسباب نزول القرآن، كتاب متشابه القرآن، كتاب الأعلام والطرائق في الحدود والحقائق، كتاب مناقب آل أبي طالب، كتاب المثالب، كتاب المائدة والفائدة، جمع فيه أشياء من النوادر والفوائد. عاش تسعاً وتسعين سنة وشهرين ونصفاً، وتُوفي بحلب في التاريخ المذكور»^(١).

وقد ترجمه الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) قائلاً: «محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر: أبو جعفر السروري، المازندراني، رشيد الدين الشيعي...»

(١) الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١١٨.



نبغ في علم الأصول حتى صار رحلة. ثم تقدّم في علم القرآن، القراءات، والغريب، والتفسير، والنحو، وركب المنبر للوعظ. ونفقت سوقه عند الخاصّة والعامة. وكان مقبول الصورة، مستعذب الألفاظ، مليح المعاني... حدّثني قال: صار لي سوق بهازندران حتى خافني صاحبها، فأنفذ يأمرني بالخروج عن بلاده، فصرتُ إلى بغداد في أيام المقتفي، ووعظتُ، فعظمتُ منزلتي واستدعيْتُ، وخلع عليّ، وناظرتُ، واستظهرتُ على خصومي، فلقبْتُ برشيد الدين، وكنتُ ألقبُ بعزّ الدين. ثمّ خرجتُ إلى الموصل، ثمّ أتيتُ حلب. قال: وكان نزوله على والدي فأكرمه، وزوّجه بنت أخته، فُرِّبْتُ في حجره، وغدّاني من علمه، وبصّرني في ديني...

تُوِّفِّي ليلة سادس عشر شعبان سنة ثمان وثمانين، ودُفِنَ بجبل جوشن عند مشهد الحسين^(١).

وقال عنه ابن حجر في لسان الميزان: «محمد بن علي بن شهر آشوب: أبو جعفر السروري المازندراني، من دعاة الشيعة، فقال ابن أبي طي في تاريخه: اشتغل بالحديث ولقي الرجال، ثمّ تفقّه وبلغ النهاية في فقه أهل البيت، وسع في الأصول، ثمّ تقدّم في القراءات والغريب والتفسير والعربية، وكان مقبول الصورة، مليح العرض على المعاني، وصنّف في المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف والفصل والوصل، وفرّق بين رجال الخاصّة ورجال العامة يعني أهل السنّة والشيعة، كان كثير الخشوع، مات في شعبان سنة ثمان وثمانين وخمس مائة»^(٢).

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، ج ٤١، ص ٣١٠. السيوطي، جلال الدين، طبقات المفسرين، ص ٩٦.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، ج ٥، ص ٣١٠.

وقال خير الدين الزركلي: «ابن شهر آشوب (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ = ١٠٩٥ - ١١٩٢ م)، محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، أبو جعفر، رشيد الدين: فاضل إمامي. عالم بالحديث والأصول. من سارية مازندران. خافه واليها، فأمره بالخروج منها، فذهب إلى بغداد في أيام المقتفي، وعظمت منزلته. ثم انتقل إلى الموصل، واستقر في حلب وتوفي بها. من كتبه: (الفصول) في النحو، و(أسباب نزول القرآن) و(تأويل متشابهات القرآن) و(مناقب آل أبي طالب) و(المكنون المخزون في عيون الفنون) و(معالم العلماء، في التراجم والتصانيف) في معهد المخطوطات، ومثله (المتشابه والمختلف)»^(١).

إنّ هذه التراجم التي ذكرناها في ترجمة حياة ابن شهر آشوب تؤكد أنّه كان شخصية علمية متميّزة، فرضت وجودها في عصرها، وتركت أثراً واضحاً لما بعدها؛ فلهذا لم تغفل المراجع العلمية عن ذكره وذكر تصانيفه؛ بل إنّ العلماء من مختلف المذاهب والاتجاهات الفكرية ذكروه وأطروا عليه، وحددوا أبعاد تلك الشخصية العلمية الضخمة وما أنتجت من مؤلّفات جليّة، وخاصّة في علوم القرآن والتفسير.

آثاره العلمية

خلف ابن شهر آشوب عدّة مؤلّفات علمية تحكي عن سعة علومه، وتنوع معارفه؛ ولذا جاءت هذه المصادر نتيجة طبيعية لشخصيته العلمية.

وقد عملنا على جردٍ لأهمّ تلك الكتب - التي وصلت إلينا عنه، والتي أشار

(١) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٢٧٩.



إليها المصنّف عند ترجمة نفسه في كتابه الموسوم بـ(معالم العلماء)، حيث ذكر تلك

المصنّفات بالتفصيل - وهي كالتالي:

١. مناقب آل أبي طالب.
٢. مثالب النواصب.
٣. المخزون والمكتون في عيون الفنون.
٤. الطرائق في الحدود والحقايق.
٥. مائدة الفائدة.
٦. المثال في الأمثال.
٧. معالم العلماء.
٨. الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول.
٩. الحاوي.
١٠. متشابه القرآن.
١١. الأوصاف.
١٢. المنهاج^(١).
١٣. الفصول في النحو^(٢).

(١) انظر: المازندراني، محمد بن علي، معالم العلماء، ص ١١٩.

(٢) انظر: الطهراني، آقا بزرك، الذريعة في تصانيف الشيعة، ج ١٦، ص ٢٤٣. الميرزا الطبرسي،

حسين النوري، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٣٨٨.



أساتذته ومشايخه

تتلمذ ابن شهر آشوب على يد الكثير من علماء زمانه بعد تلمذته لجدّه (شهر آشوب) ووالده (علي)، ومن أشهر شيوخه:

- ١- جار الله الزمخشري المعتزلي - صاحب الكشاف - المتوفى سنة ٥٨٣ هـ.
- ٢- أبو عبد الله، محمد بن أحمد النطنزي، العامي المذهب، صاحب كتاب (الخصائص العلوية)، ومن علماء القرنين الخامس والسادس.
- ٣- ناصح الدين، أبو الفتح عبد الواحد التميمي الأمدي، صاحب (غرر الحكم ودرر الكلم)، المولود سنة ٥١٠ هـ.
- ٤- أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، صاحب كتاب (الاحتجاج)، وهو من أهل المئة الخامسة الذين أدركوا المئة السادسة.
- ٥- أبو الحسين سعيد بن هبة الله، المعروف بـ(القطب الراوندي)، صاحب كتاب (فقه القرآن)، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ.
- ٦- أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي، صاحب تفسير (مجمع البيان)، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.
- ٧- جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي الرازي، صاحب تفسير (روض الجنان وروح الجنان).
- ٨- أبو علي، محمد بن الحسن القتال النيسابوري، صاحب كتاب (روضة الواعظين)، والمتوفى شهيداً سنة ٥٠٨ هـ.
- ٩- أبو الحسن، فريد خراسان، علي بن أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام



أميرك محمد، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ^(١).

١٠ - السيد الإمام أبو الرضا، ضياء الدين فضل الله بن علي بن هبة بن علي بن عبد الله الحسيني الراوندي، المتوفى سنة ٥٧١ هـ^(٢).

دواعي التأليف

ذكر ابن شهر آشوب أنّ السبب لتأليف كتاب متشابه القرآن جاء بطلب البعض منه ذلك، حيث صرّح في مقدّمته للكتاب قائلاً: «سألتم - وفقكم الله للخيرات - إملاء كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات، ولعمري إنّ لهذا التحقيق بحراً عميقاً، ولا يكاد يوجد منه إلا ألفاظ في كتب كبار المتكلمين، أو نكت في بعض تفاسير المحققين العدليين، وقلّمنا يحصر ذلك للطّالين، فأجبتكم إلى ذلك...»^(٣).

ونستفيد من هذا النص أنّ تأليفه لـ (متشابه القرآن) جاء نزولاً وتلبيةً لرغبة البعض، الذين لم يصرّح بهم المؤلف في المقدّمة، إلا أنّنا نحتمل أن يكون طلبه وتلاميذه المقربون هم من دعاه إلى تأليف هذا الكتاب، وبيان المشكل من الآيات المتشابهة، واختلاف العلماء في حكمها.

(١) انظر: المازندراني، محمد بن علي، معالم العلماء، ص: ٢٥، ٥٥، ١١٦، ١٣٥، ٥١، ١٤١. والميرزا

الطبرسي، حسين النوري، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٦٠ - ٦٩.

(٢) انظر: الطهراني، آغا بزرك، الذريعة في تصانيف الشيعة، ج ١، ص ٣٩٦.

(٣) المازندراني، محمد بن علي، متشابه القرآن والمختلف فيه، تحقيق وتعليق حامد المؤمن، جمعية

متدى النشر، النجف الأشرف، ٢٠٠٨ م، الطبعة الأولى، ج ١، ص ٤٥ - ٤٦.



ظروف تأليف الكتاب وصعوباته

أمّا بخصوص الصعوبات التي مرّ بها أثناء تأليفه لهذا الكتاب، فقد صرّح بها في المقدمة فقال: «أجبتكم إلى ذلك مع تقسّم الفكر، وضيق الصدر، وشغل القلب، ووعثاء السفر، وفقدان الكتب، فمنها ما ابتدأناه، ومنها ما سبقنا إليه فحررناه، ومنها ما وجدناه مختلفاً فحقّقناه»^(١).

ويظهر من كلامه أنّه كان يواجه ثلاثة تحديات رئيسية، هي:

١ - أنّه كان يواجه ظروفاً مختلفة؛ كصعوبات نفسية وفكرية، وانشغالات بأمورٍ لم يصرّح بها.

٢ - كان المؤلّف كثير السفر والانتقال في حياته، حسب ما استفدنا ذلك من ترجمة حياته. فبدأ بالانتقال من مدينته مازندران إلى بغداد، ثمّ إلى حلب، ونستظهر - على نحو الاحتمال - أنّ تأليفه لكتاب (متشابه القرآن) كان في مدينة حلب، التي أفنى بقيّة حياته فيها، حيث كان في قمة نضوجه العلمي والفكري.

٣ - فقدان الكتب والمصادر التي يستعين بها على التأليف والكتابة، وتتبع أقوال المفسّرين والعلماء، وهذه المشكلة - في اعتقادنا - تعدّ عائقاً كبيراً تواجه الباحثين والمؤلّفين على مرّ العصور. ومن الطبيعي فقد مثلت عائقاً كبيراً بوجه الشيخ المازندراني، ممّا دعاه إلى التصريح به في المقدمة.

وبناءً على ما تقدّم من الصعوبات والمشاكل التي واجهها الشيخ المازندراني، وخصوصاً ما يتعلّق بالنقطة الثالثة، فقد يشكّل ذلك عذراً للمؤلّف إذا ما وجدت بعض الهفوات في هذا الكتاب.

(١) المصدر السابق، ص ٤٦.



المبحث الثاني

تعريف المحكم والمتشابه وحقيقتهما

تعريف المتشابه لغتاً

ذكر اللغويون عدّة معانٍ للمتشابه:

قال ابن منظور: «شبه: الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع: أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله. وفي المثل: مَنْ أشبه أباه فما ظلم. وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه عليّ وتشابه الشيطان واشتبها: أشبه كلّ واحد صاحبه.

والشبهة: الالتباس. وأمور مشتبهة ومشبهة... وشبه عليه: خلط عليه الأمر

حتى اشتبهه بغيره»^(١).

وقال ابن فارس: «شبه: الشين والباء والهاء: أصل واحد يدلّ على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يُقال: شبه وشبهه وشبيه، والشبه من الجوهر: الذي يشبه الذهب. والمشبّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران: إذا أشكلا»^(٢).

وقال الفيروزآبادي: «الشبه بالكسر والتحريك، وكأمر: المثل، جمعه: أشباه. وشابهه وأشبهه: ماثله. وأمّه: عجز وضعف. وتشابها واشتبها: أشبه كلّ منها الآخر حتى التبسا. وشبهه إياه وبه تشبيهاً: مثله. وأمور مشتبهة ومشبهة

(١) ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٢٤٣.

كمعظمة: مشكلة. والشبهة بالضم: الالتباس والمثل. وشبه عليه الأمر تشبيهاً:
لبس عليه»^(١).

وقد وردت مادة (ش ب هـ) في اثنتي عشرة كلمة في تسع آيات من الكتاب
العزیز، كلَّها من (المتشابه)، ما عدا موضع واحد، فمن (المشتبه)، وهي:

- ١- ﴿وَأَتُوا بِهِءُ مُتَشَبِهًا﴾^(٢).
- ٢- ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾^(٣).
- ٣- ﴿قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٤).
- ٤- ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾^(٥).
- ٥- ﴿وَلَكِنْ شَبَّهَهُمْ﴾^(٦).
- ٦- ﴿أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مِثْلَهَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾^(٧) وهذا هو الموضع الذي جُمع فيه بين (المتشابه) و(المشتبه).
- ٧- ﴿فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾^(٨).

(١) الفيروزآبادي، محمد، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٥.

(٣) سورة البقرة: ٧٠.

(٤) سورة البقرة: ١١٨.

(٥) سورة آل عمران: ٧.

(٦) سورة النساء: ١٥٧.

(٧) سورة الأنعام: ٩٩.

(٨) سورة الرعد: ١٦.



٨- ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي﴾^(١).

٩- ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُتَشَكِّمًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّهِ﴾^(٢).

المتشابه اصطلاحاً

يمكن أن تُطرح عدّة معانٍ للمتشابه.

وقد نسب لابن عباس أكثر من معنى للمتشابه، منها: والمتشابه: ما أحتمل أوجهاً، وهو ما دأب عليه الأصوليون^(٣).

وقد ورد في تفسير العياشي: «عن مسعدة بن صدقة، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه؟ قال: الناسخ: الثابت المعمول به، والمنسوخ: ما قد كان يُعمل به ثم جاء ما نسخه، والمتشابه: ما اشتبه على جاهله»^(٤).

وقال آخرون: «قد يُقال لكلّ ما غمض ودقّ: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ألا ترى أنّه قد قيل للحروف المقطّعة في أوائل السّور: متشابه، وليس الشكّ فيها، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها بها»^(٥).

وقال الراغب: «والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره؛ لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء: المتشابه: ما لا يُنبئ ظاهره عن مراده»^(٦).

(١) سورة الزمر: ٢٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٤.

(٣) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٤) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ١١.

(٥) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، ص ١٠٢.

(٦) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥٤.

وقال الفخر الرازي في تعريف المتشابه: «إنّ اللفظ إمّا أن يكون نصّاً، أو ظاهراً، أو مؤوّلاً، أو مشتركاً، أو [...]، وأمّا المجلّم والمؤوّل: فهما مشتركان في أنّ دلالة اللفظ عليه غير راجحة، وإن لم يكن راجحاً لكنّه غير مرجوح، والمؤوّل مع أنّه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد، فهذا القدر المشترك هو المُسمّى بالمتشابه»^(١).

وقال ابن كثير في تعريف الآيات المتشابهة: «أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد»^(٢). وقد ذهب ابن شهر آشوب إلى تعريف المتشابه بأنّه: «ما لا يُعلم المراد بظاهره حتّى يقترن به ما يدلّ على المراد منه؛ لالتباسه»^(٣).

والناظر إلى كلّ ما تقدّم من المعاني الاصطلاحية للمتشابه، يجد تقارباً ملحوظاً بين آراء العلماء المتعدّدة حول معنى المتشابه، وذلك لأنّهم يأخذون من مشرب الثقافة القرآنية وما أجمع عليه السابقون من العلماء، وإن تمايزت العبارة لدى كلّ منهم واختلف الأسلوب. غير أنّ الاتفاق في المضمون هو السائد.

المعنى القرآني للمتشابه

ينقسم معنى التشابه في القرآن الكريم إلى قسمين:

القسم الأوّل: التشابه بمعنى التماثل والتقارب، وسنشير إلى هذا القسم مفصّلاً في الفصل الثاني لهذا البحث.

(١) الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج٧، ص ١٨١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٣٥٢.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج١، ص ٤٦.



القسم الثاني: التشابه: ما يقابل الأحكام.

وصف القرآن الكريم آياته بأنَّ فيها المُحكَمَ والمتشابه؛ أي: فيه ما يدلُّ على أنَّ بعضه مُحكَم، وبعضه متشابه. وقد جاء هذا الوصف في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(١). وهذا يدلُّ على أنَّ الآيات المُحكَمات واضحة الدلالة على مراد الله، ليس فيها اشتباه أو إشكال، ولا يتطرق إليها التأويل أو الاحتمال. أمَّا الآيات المتشابهات فهي لا يتَّضح معناها مباشرة، وتشبه معانيها مع آيات أخرى.

قال السيّد الطباطبائي: «المراد بالتشابه: كون الآية بحيث لا يتعيّن مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها، بل يتردّد بين معنى ومعنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب، فتعيّن هي معناها وتبيّن بياناً فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة، والآية المحكمة محكمة بنفسها»^(٢).

المحكّم لغةً

قال ابن فارس: «حكّم: الحاء والكاف والميم، أصل واحد: وهو المنع. وأوّل ذلك الحكم وهو المنع من الظلم. وسُمّيت حكمة الدابة؛ لأنّها تمنعها، يُقال: حكمتُ الدابة وأحكمتُها. ويُقال: حكمتُ السفينة وأحكمتُها: إذا أخذت على يديه.

وتقول: حكمتُ فلاناً تحكيماً منعه عمّا يريد. وحكم فلان في كذا: إذا جعل

أمره إليه»^(٣).

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢١.

(٣) ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٩١.

وقال الراغب الأصفهاني: «حكم: حكم أصله منع منعاً لإصلاح، ومنه سُميت اللجام حكمة الدابة، فقيل: حكمته وحكمت الدابة: منعها بالحكمة، وأحكمتها: جعلت لها حكمة»^(١).

وجاء في اللسان: «وأحكمت الشيء فاستحكم: صار محكماً. واحتكم الأمر واستحكم: وثق. وحكم الشيء وأحكمه، كلاهما: مَنَعَهُ من الفساد»^(٢).

المحكم اصطلاحاً

ولما كان موضوع المحكم وثيق الصلة بالمتشابه من زاوية العلاقة بينهما في التقابل الدلالي بالمعنى (العام والخاص)، فقد عكفنا على جلاء هذه العلاقة وصورها من حيث نمط العلاقة التقابلية، وتعريفات العلماء لها، وآراء المفسرين فيها.

ويمكن في هذا الصدد أن تطرح عدّة معانٍ للمحكم:

قال الراغب: «فالمحكم: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى»^(٣).

وأورد السيوطي جملةً من الأقوال في تفسير المحكم والمتشابه، فقال: «وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال:

فقيل: المحكم: ما عُرف المراد منه، إمّا بالظهور وإمّا بالتأويل. والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطّعة في أوائل السور.

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ١٢٦.

(٢) ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٤٣.

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ١٢٨.



وقيل: المحكم: ما وضع معناه. والمتشابه نقيضه.

وقيل: المحكم: ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً واحداً. والمتشابه: ما احتمل أوجهاً.

وقيل: المحكم: ما كان معقول المعنى. والمتشابه: بخلافه كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان. قاله الماوردي.

وقيل: المحكم: ما استقلّ بنفسه. والمتشابه: ما لا يستقلّ بنفسه إلاّ برده إلى غيره.

وقيل: المحكم: ما تأويله تنزيهه. والمتشابه: ما لا يدرك إلاّ بالتأويل.

وقيل: المحكم: ما لم تتكرّر ألفاظه. ومقابله المتشابه.

وقيل: المحكم: الفرائض والوعد والوعيد. والمتشابه: القصص والأمثال^(١).

وقال بعض المعاصرين في صدد تعريف المحكم: «إنّ المحكم: هو الذي يدلّ على معناه بوضوح لا خفاء فيه، والمتشابه: هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه، فيدخل في المحكم النص والظاهر... ويدخل في المتشابه المجرم والمؤول والمشكل^(٢)».

وقد نقل السيّد الطباطبائي في تفسير الميزان ستّة عشر قولاً في معنى المحكم والمتشابه، وقد ناقشها هناك واحتجّ عليها مفصّلاً^(٣).

أما ابن شهر آشوب، فقد نقل بعض التعاريف الاصطلاحية للمحكم عن لسان بعض العلماء والمتخصّصين، من دون أن يرجّح أحدها على الآخر،

(١) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٥.

(٢) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٨٢.

(٣) راجع: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٣٢ - ٣٩.

بقوله: « قال ابن عباس: المحكم الناسخ. وقال مجاهد: المحكم ما لم يشتهبه معناه. وقال الجبائي: المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً»^(١).

الاختلاف لغةً

توزعت مادة (خلف) بحسب تصنيف اللغويين إلى عدد من المعاني، مع حفظ المادة في جميعها.

قال بعضهم: «واختلف: ضدّ اتفق، ومنه الحديث: (سوّوا صفوفكم، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم)، أي: إذا تقدّم بعضهم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبهم، ونشأ بينهم اختلاف في الألفة والمودة...، وتحالف الأمران: لم يتفقا، وكلّ ما لم يتساو فقد تحالف واختلف»^(٢).

ويقال: «وخالفته وخلافاً وتحالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر وهو ضد الاتفاق»^(٣).

وقالوا أيضاً: «أما الخلاف - بالكسر - فهو المضادة، وقد خالفه مخالفةً وخلافاً»^(٤).

الاختلاف اصطلاحاً

لم نعثر على تعريف محدّد لمعنى الاختلاف في كلمات العلماء، لكن من خلال المعنى اللغويّ، يمكننا أن نعرّفه بأنّه: عدم الاتفاق في الرأي بسبب اختلاف

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٦.

(٢) الزبيدي، محمد، تاج العروس، ج ١٢، ص ١٩٩ - ٢٠١. الفيروزآبادي، محمد، القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٣٨.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة (خلف)، ج ١، ص ٢٤٥.

(٤) ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج ٩، ص ٩٠.

الوسائل، الناتج من تفاوت أفهام الناس، أو تباين إدراكاتهم.

الاختلاف في التفسير والتأويل

وبناءً على المعنى اللغوي للكلمة - الاختلاف - يتّضح لنا أنّ اختلاف المفسّرين في المتشابه هو:

عدم الاتفاق الحاصل في آرائهم، بسبب تنوع المناهج والوسائل التي تعينهم على تفسير وتأويل الآيات المتشابهة؛ وذلك لوقوع التشابه في اللفظ أو في المعنى، أو كليهما.

العلاقة بين المحكم والمتشابه

للقوف على مفهوم المحكم والمتشابه والعلاقة بينهما، لا بدّ من إدراك مفهوم الأدلة التي جاءت في القرآن الكريم في معاني المحكم والمتشابه.

فقد وصف الله تعالى كتابه العزيز كلّه بأنّه محكم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿الرَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿الرَّ كُنْتُ أَحْكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(٢).

قال قتادة: «أحكمها الله من الباطل، ثمّ فصلها: بينها»^(٣).

ووصف الله تعالى كتابه بأنّه متشابه، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾^(٤).

(١) سورة يونس: ١.

(٢) سورة هود: ١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج ١١، ص ٢٣٢.

(٤) سورة الزمر: ٢٣.

قال ابن عباس: «القرآن يشبه بعضه بعضاً، ويردّ بعضه على بعض»^(١).
وأخرج الطبري بسند عن مجاهد في قوله: «كتاباً متشابهاً مثاني، قال: في
القرآن كله»^(٢).

وجاء في القرآن الكريم ما يدلّ على أنّ بعضه محكم من جهة، وبعضه
متشابه من جهة أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ
آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٣).

ومن خلال مطالعتنا لكتاب متشابه القرآن وقفنا على رأي ابن شهر آشوب
بخصوص علاقة المحكم بالمتشابه، وذلك من خلال جمعه للنصوص القرآنية
التي تشترك في موضوع واحد ليستشهد بها على مراده، كما في قوله تعالى: ﴿كُنُوبٌ
أُحْكِمَتْ آيَاتُهُمْ﴾^(٤)، ﴿كُنُوبًا مُتَشَابِهًا﴾^(٥)، ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ
مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٦).

قال ابن شهر آشوب: «أما قوله: (أحكمت) أي: أجملت، لقوله: (فصّلت)،
والنقصيل يكون بعد الإجمال. وأما قوله: (متشابهاً) يعني أنّ جميعها يتشابه في
حسن النظم، وجودة اللفظ، وفي الإفادة، وفي كونه معجزاً وحكمةً، وغير ذلك.
وأما قوله: (متشابهات) أي: يتشابه على الخلق، فلا يعرفون تأويله، والغرض فيه،

(١) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٣، ص ٢٥٠.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) سورة هود: ١.

(٥) سورة الزمر: ٢٣.

(٦) سورة آل عمران: ٧.



كما قال: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾^(١).

إذن، بناءً على الكلام المتقدم، يتحصّل عندنا أنّه لا اختلاف أو تناقض ما بين آيات الإحكام والآيات المتشابهة طبقاً لمنطوق القرآن في هذا الباب من البحث، كما هو شأن القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

ويظهر لنا أيضاً: أنّ القرآن كلّه محكم، بمعنى: متقن، لا يتطرّق إليه خلل، تتفق معانيه وإن اختلفت ألفاظه. ومتشابهه يصدّق بعضه بعضاً دون اختلاف أو تضادّ، يشبه بعضه بعضاً بلاغةً وحسناً، حتى لا يستطيع الإنسان أن يفاضل بين حروفه وكلماته؛ فهما معنيان متّفقان على القرآن حكماً ووصفاً^(٣).

أهم كتب (متشابه القرآن)

لاقي كتاب الله العزيز اهتماماً كبيراً بين العلماء المسلمين على مختلف اتجاهاتهم المعرفية والفكرية، ولم نر كتاباً على مرّ التاريخ قد حظي بهذا الاهتمام والدراسة بقدر ما حظي به القرآن الكريم، ممّا نتج عن ظهور مؤلّفات وكتب عديدة تناولت كتاب الله، وذلك بتفسيره وتأويله وأسباب نزوله...، وكان من جملة ما اهتمّوا به هو جانب المحكم والمتشابه، فتنوّعت في هذا الجانب كتبٌ ومؤلّفاتٌ كثيرةٌ، توزّعت على مرّ القرون السابقة، نتعرّض الآن إلى ذكر أهمّها؛ وهي كالتالي:

(١) سورة البقرة: ٧٠.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٢٧.

(٣) سورة النساء: ٨٢.

(٤) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٧١.

١. متشابه القرآن، لأبي عمارة، حمزة بين حبيب الزيات الكوفي، وهو أول من ألف في متشابه القرآن، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، والمتوفى أيام المنصور.
٢. متشابه القرآن، لأبي عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ).
٣. متشابه القرآن، لبشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ).
٤. متشابه القرآن، لمحمد بن هذيل العلاف (ت ٢٥٣هـ).
٥. متشابه القرآن، لجعفر بن حرب (ت ٢٣٦هـ).
٦. متشابه القرآن، لمحمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت ٣٠٣هـ).
٧. المتشابه في القرآن، للشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦هـ).
٨. متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ).
٩. متشابه القرآن، لأبي سعيد، محمد بن أحمد بن محمد العميدي (ت ٤٣٣هـ).
١٠. متشابه القرآن والمختلف فيه، لرشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ).
١١. متشابه القرآن، لمحمد بن محمد (ابن الإمام) (ت ٧٤٥هـ).
١٢. ردّ المتشابه إلى المحكم، للشيخ محمد بن أحمد بن اللبان الأشعري المصري (ت ٧٤٩هـ).
١٣. متشابه القرآن، للشيخ أبي عبد الله محمد بن هارون، المعروف والده بـ(الكيال).
١٤. متشابه القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).
١٥. متشابه القرآن، لصدر المتألهين محمد إبراهيم الشيرازي (الملاّ صدرا) (ت ١٠٥٠هـ).
١٦. التنزيه وذكر متشابه القرآن، للشيخ أبي محمد بن موسى النوبختي (ت ٣١٠هـ).



١٧. ري الظمآن في متشابه القرآن، لأبي محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأندلسي، المتوفى (٦٣٤ هـ).
١٨. كشف المعاني عن متشابه المثاني، لابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم.
١٩. حلّ متشابهات القرآن، للراغب الأصفهاني، أبي القاسم، الحسين بن محمد، المتوفى (٥٠٢ هـ).
٢٠. أضواء على متشابهات القرآن، بقلم الشيخ خليل رزق، يحتوي على ١٦٥١ (سؤال وجواب، في جزأين). الأوّل ينتهي عند سورة الكهف، والثاني إلى نهاية القرآن. منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت - ط ٢ / ١٩٨٠ م.
٢١. متشابه القرآن، دراسة موضوعية. تأليف: عدنان زرزور. مطبوع، دمشق، دار المعارف للطباعة: ١٩٧٠ م، (١٩٧) صفحة.
- إلى غيرها من المؤلفات الحديثة نسبياً أو المعاصرة^(١).

(١) انظر المصادر التي اعتمدها في هذا الموضوع، وهي كالتالي: الطهراني، آغا بزرك، الذريعة في تصانيف الشيعة، ج ٤، ص ٢٧٣، ٤٥٥، ج ٧، ص ٧٣، ١٦، ص ٤٠٠، ج ١٩، ص ٦١، ٦٢، ٦٣. وحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٢٥٥، ص ٣٧٥، ٨٣٧، ٨٣٨، ج ٢، ص ١٥٨٤. وابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، ص ٣٩، ٤١، ٢٠٥، ٢١٣. والبغدادى، إسماعيل بن محمد، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج ١، ص ٦٠٤، ج ٢، ص ٣٦٧.



المبحث الثالث

تأويل المتشابه

نظراً للعلاقة الترابطية بين مفهومي المتشابه والتأويل في القرآن، ارتأينا أن نعقد هذا المبحث لكي نوضح ونكشف هذه العلاقة ومقدار الحاجة الضرورية للتأويل؛ للكشف عن ملاسبات المتشابه وغوامضه.

وتعدّ مسألة التأويل من أهمّ المباحث التي عنى بها الفكر الإسلامي عموماً، وأصبح التأويل علماً من أهمّ علوم القرآن والمعارف القرآنية خصوصاً، بالإضافة إلى آثاره المنبسطة في الفكر والتشريع، والكلام والفلسفة، والعرفان، والفقه، والأصول.

وكان للفظ (التأويل) أثرٌ مهمٌّ في آيات القرآن وثقلٌ ملموسٌ، من هنا ندرك أنّ العقل البشري قد استعمل التأويل لتوضيح غوامض اللفظ، أو الحدث، أو الرمز.

إنّ الناس يجدون حاجةً ملحّةً في التأويل؛ إيضاحاً لما يريدونه، ولفكّ غوامض الألفاظ، فيلجأون إلى علم التأويل لكشف تلك الغوامض.

ومن هنا جاءت الحاجة إلى بحث وبيان معنى التأويل لغةً واصطلاحاً؛ للكشف عن المتشابه الحاصل في ألفاظ القرآن ومعانيه.

التأويل لغة

جاءت لفظ (التأويل) في اللغة وهي تحمل عدّة معانٍ، نذكرها كالتالي:



قال الفراهيدي: «آل يؤول إليه: إذا رجع إليه، تقول: طبخت النبيذ والدواء فآل إلى قدر كذا وكذا، إلى الثلث أو الربع، أي: رجع»^(١).
والآل بالتشديد: «كلّ ما له حرمة وحق، كالقراية والرحم والجوار والعهد...»^(٢).

وقال ابن فارس: «ابتداء الأمر وانتهاءه. أمّا الأوّل فالأوّل: وهو مبتدأ الشيء... ومن هذا الباب تأويل الكلام: وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾^(٣). يقول ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم. وقال الأعشى:

على أنّها كانت تأول حبّها تأول ربي السقاب فأصبحا

يريد مرجعه وعاقبته»^(٤).

وقال الراغب: «التأويل من الأوّل: أي الرجوع إلى الأصل، ومنه المؤئل: للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه عملاً كان أو فعلاً. والأوّل: السياسة التي تراعى مآلها»^(٥)؛ وقد يأتي التأويل بمعنى التفسير، يُقال: «وأوّل الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره»^(٦)؛ ويأتي أيضاً

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٨، ص ٣٥٩.

(٢) الزبيدي، محمد، تاج العروس، ج ١٤، ص ٢٦.

(٣) سورة الأعراف: ٥٣.

(٤) ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ١٥٨ - ١٦٠.

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ٣١.

(٦) ابن منظور، محمد، لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣.

بمعنى التغيّر، من: آل اللبن أي خثر، وآل جسم الرجل إذا نحف^(١).

ويتلخّص ممّا تقدّم أنّ المعاني اللّغوية للتأويل جاءت بعدّة معانٍ، وهي:
المرجع والمصير، الابتداء والانتهاء، التغيّر، التفسير والتدبّر.

التأويل اصطلاحاً

نظراً لأهمّيّة التأويل وأثره في الفكر الإسلامي، فقد حظي بالدراسة والمناقشة من العلماء المتخصّصين بعلوم القرآن، فاهتمّوا به ودقّقوا في تعريفه. إلّا أنّ هذا الاهتمام نتج عنه عدّة تعاريف مختلفة ومتعدّدة؛ تبعاً لقابليات الباحث المعرفية. ونتيجة لذلك فقد شهد تعريف معنى (التأويل) باعتبار تعدّد المتناولين من فلاسفة ومفسّرين ومتصوّفة اهتماماً ملحوظاً بالدراسة والبحث؛ لما يمثّله من ثقل معرفي في الفضاء العلمي اليوم.

وبناءً على هذا سنعرض بعض التعاريف الاصطلاحية لمفهوم التأويل، وهي

كالتالي:

التعريف الأوّل

جاء التأويل بمعنى التفسير، كما ذهب إليه بعض المفسّرين: «وأما معنى

التأويل في كلام العرب فإنّه: التفسير والمرجع والمصير»^(٢).

التعريف الثاني

ما ذكره ابن تيمية قائلاً: «هو نفس الكلام، فإنّ الكلام إن كان طلباً كان تأويله

(١) انظر: ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ١٦٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج ٥، ص ٢٥٠.



نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به...، فالتأويل في نفس الأمور الموجودة في الخارج، سواء كانت ماضية أو مستقبلية، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل الكلام بما عليه من صفاتها وشؤونها وأحوالها^(١).

بناء على هذا التعريف، يتضح لنا أن معنى التأويل عند ابن تيمية ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ؛ بل من الأمر العيني الذي يعتمد عليه الكلام، فيكون التأويل من باب الوجود العيني الخارجي.

التعريف الثالث

أمّا العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي، فقد عرفه بقوله: «إنّ الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية، من حكم أو موعظة أو حكمة، وإنّه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وإنّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هو من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، وإنّما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، فهي كالأمثال تُضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(٢)».

ثمّ عرفه بقوله: «...إنّ المراد بتأويل الآية ليس مفهوماً من المفاهيم تدلّ عليه الآية، سواء كان مخالفاً لظاهرها أو موافقاً، بل هو من قبيل الأمور الخارجية، ولا كل

(١) ابن تيمية، أحمد، الإكليل في التشابه والتأويل، ص ٢٨.

(٢) سورة الزخرف: ٢-٤.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٩.

أمر خارجي حتى يكون المصداق الخارجي للخبر تأويلاً له، بل أمر خارجي مخصوص نسبته إلى الكلام نسبة الممثل إلى الممثل - بفتحين - والباطن إلى الظاهر»^(١).

فالتأويل هنا على رأي السيد الطباطبائي، ليس من مقولة المفاهيم والألفاظ والمعاني، وإنما هو من الأمور العينية الخارجية.

التعريف الرابع

التأويل عند الشهيد الصدر، ليس بمعنى التفسير، قال: «التأويل جاء في القرآن بمعنى: ما يؤول إليه الشيء، لا بمعنى التفسير، وقد استخدم بهذا المعنى للدلالة على تفسير المعنى لا تفسير اللفظ، أي: على تجسيد المعنى العام في صورة ذهنية معينة»^(٢).

وقد فرق السيد الشهيد بين تفسير اللفظ وتفسير معنى اللفظ قائلاً: «يمكننا في هذا الضوء أن نضيف إلى المعاني الاصطلاحية التي مرت بكلمة التأويل معنى آخر يمكن استنباطه من القرآن الكريم هو: تفسير معنى اللفظ، والبحث عن استيعاب ما يؤول إليه المفهوم العام، ويتجسد به من صورة ومصداق»^(٣).

نكتفي بهذا القدر من مجموع التعاريف الاصطلاحية لمعاني التأويل، التي كان الغرض منها العرض السريع لأهم الأقوال والآراء التي وردت بهذا الصدد، على الرغم من اختلاف مناهج القائلين بها، بالخصوص معاني التأويل ومفرداته، وهو أمر تطلبته ضرورة المرحلة الدراسية في هذه الرسالة.

(١) المصدر السابق: ص ٤٦.

(٢) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص ٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٣١.



التأويل عند الأصوليين

هناك تعاريف أخرى للتأويل وردت على لسان بعض الأصوليين، لا بأس أن نأتي بها لبيان وجه الفرق بينهم وبين ما نحن بصدده من الاختصاص القرآني. وللفائدة نذكر اثنين منها، وهي كالآتي:

الأول: وهو بمعنى: «نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعمّا وضع له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله قد صحّ برهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق، وإن كان نقله بخلاف ذلك أ طرح ولم يُلتفت إليه، وحُكم لذلك النقل بأنه باطل»^(١).

ونستكشف من هذا التعريف: إذا توفر المبرر الصحيح - وهو البرهان - لنقل اللفظ عن الظاهر، وكان الناقل يمثل مرجعية علمية واجبة الطاعة، يمكن الأخذ بذلك النقل والتسليم به. ويكون النقل باطلاً إذا لم يتوفر فيه الشرطان المتقدمان.

الثاني: وهناك تعريف آخر للتأويل عند الأصوليين، وهو: «احتمال يعضده دليل، يصير به أغلب على الظنّ من الذي دلّ الظاهر عليه»^(٢).

علم تأويل المتشابه

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

(١) الأندلسي، علي بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٣٩.

(٢) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، ص ١٥٥.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

أجمع العلماء والمفسرون على أن الباري - سبحانه وتعالى - هو المرجع الأول في تأويل المتشابه؛ لأنّ هناك من القرآن ما لا يستطيع البشر جميعاً فهمه، ولا الوصول إليه، وحتى وإن وصلوا إليه عن طريق فهم معنى المفردة القرآنية، فإنهم لم يصلوا إلى كنهه مراد الله؛ كالعلم بذات الله، وحقائق صفاته، ووقت الساعة، وتعيين الصغيرة من الكبيرة، وتعيين الضابط لها، والوقت الذي يفصلنا عن وقت الساعة، وحقيقة ما يجري يوم القيامة، فهذا نور من به. وأمّا كيفية ذلك وحقيقته، فلا ندركها في الدنيا؛ لأنّ الله - سبحانه وتعالى - اختصّ بها من دون غيره^(١).

إلاّ أنّهم اختلفوا في تفسير الآية حول دخول الراسخين في العلم، وأنهم هل يعلمون بتأويل الآيات المتشابهة في القرآن، أو لا؟

فمنهم من ذهب إلى القول بعلم الراسخين في العلم بتأويل المتشابه، ومنهم من أنكر ذلك وحصر - علم تأويله بالله دون غيره، وقد توسّط آخرون بقولهم: إنّ الراسخين في العلم يعلمون قسماً من تأويل المتشابه، ويخفى عليهم القسم الآخر؛ إذ لا يعلم تأويله إلاّ الله. وستعرّض الآن إلى أهمّ الأقوال والأدلة التي استندوا عليها.

١. الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه

القائلون بعلم الراسخين في العلم لتأويل متشابه القرآن، يجعلون الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢)، فيوفون الاستثناء حقه بإدخال العلماء فيه، ويجعلون لهم مزية العلم بتأويل القرآن،

(١) انظر: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ص ٩. الطباطبائي،

محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٥.

(٢) سورة آل عمران: ٧.



ومعرفة مداخله ومخارجه^(١).

وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس^(٢) ومن أصحاب هذا الرأي أبو الحسن الأشعري^(٣). وقد اختاره النووي فقال: «...إن الراسخين يعلمونه؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، وقد اتفق أصحابنا وغيرهم من المحققين على أنه يستحيل أن يتكلم الله تعالى بما لا يفيد»^(٤).

وهكذا يتبين لنا أن القائلين بعلم الراسخين في العلم لتأويل متشابه القرآن، ينتمون إلى أهم الفرق الإسلامية، ويعبرون عن موقف ووجهة نظر كل من الشيعة الإمامية، والمعتزلة، وبعض أهل السنة. وقد استند أصحاب هذا القول إلى بعض الأدلة، نعرضها كالتالي:

(أ) الأدلة المستمدة من أشعار العرب

ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ

ءَامَنَّا بِهِ﴾

فكلمة (يقولون) هنا بمعنى الحال، كأنه قال: والراسخون في العلم قائلين آمننا

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٤٩. الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات

الإسلاميين، ج ١، ص ٢٩٥. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢،

ص ٢٤١. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ص ٧.

(٢) انظر: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ص ٨. الطبري،

محمد بن جرير، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٤٩. وغيرهم أكثر من واحد.

(٣) انظر: الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٨٢.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦، ص ٢١٨.

به^(١). ولهذا فإنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه. ويستدل أصحاب هذا القول ببعض أبيات من الشعر ليزيد بن ربيعة، قالها في عبد له يُسمّى برداً، باعه ثمّ ندم عليه، فقال:

وشريت برداً ليتني من بعد برد كنتُ هامه

الريح تبكى شجوها والبرق يلمع في الغمامة

فالبرق معطوف على الريح أي: في حال لمعانه، فكذلك الراسخون في العلم معطوف على اسم الله، فيعلمون بتأويل المتشابه إذا استدّلوا بالمحكم على معناه^(٢).

(ب) الأدلة المستمدة من القرآن

ومّا يدلّ على أنّ الراسخون في العلم معطوف على اسم الله، وأنّهم مع علمهم بتأويل المتشابه يقولون آمناً به، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣).

ومعناه قائلين: ربّنا اغفر لنا، فكذلك قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾^(٤) أي: قائلين آمناً به، فيكون معناه: والراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه قائلين آمناً به^(٥).

(١) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤١.

(٢) انظر: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ص ١٣. الأشعري،

علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣) سورة الحشر: ١٠.

(٤) انظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، مصدر سابق: ص ١٢. المرتضى، علي بن الحسن، غرر

الفوائد ودرر القلائد، ج ٢، ص ٩٤.



ج) الأدلة المستمدة من الروايات والأحاديث النبوية

أجمع الصحابة والتابعون على تفسير جميع آي القرآن، ولم ترهم توقفوا على شيء منه، ولم يفسروه بحجة أنه متشابه لا يعلمه إلا الله. وقد روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان رسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وهو وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله»^(١).

وفي هذا الصدد قال الزركشي: «ولا يسوغ لأحد أن يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم المتشابه، فإذا جاز أن يعرفه الرسول مع قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، والمفسرون من أمته»^(٢). إلا أن هذا القول فيه مناقشة ونظر لا مجال لذكره هنا.

وكان ابن عباس يقول: «أنا من الراسخين في العلم، ويقول عند قراءة قوله في أصحاب الكهف: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٣): أنا من أولئك القليل»^(٤).

وقال الزركشي أيضاً في هذا المجال: «ونحن لم نر المفسرين إلى هذه الغاية توقفوا عن شيء من القرآن، فقالوا: هو متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أمروه على

(١) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤١.

(٢) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٧٣.

(٣) سورة الكهف: ٢٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر

سابق: ج ٢، ص ٢٤١.

التفسير، حتى فسروا الحروف المقطعة»^(١).

٢. الراسخون في العالم لا يعلمون تأويل المتشابه

ذهب الكثير من علماء أهل الجمهور إلى عدم علم الراسخين في العلم بتأويل متشابه القرآن، وهم يقفون في الآية على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، فقالوا: أما الراسخون في العلم فقد انتهى علمهم بتأويل القرآن باعتبار أن الواو في ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ واو الاستئناف؛ ولقوهم: آمنا به كل من عند ربنا^(٢).

ويستند أصحاب هذا الرأي إلى بعض الأقوال والروايات والأحاديث النبوية المروية عن الصحابة والتابعين، وهذه أهمها:

أ) ذم متبعي المتشابه

ومما يؤيد القول بعدم علم العلماء بمتشابه القرآن ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٣)، فقد ذم الله متبعي المتشابه، ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، بينما مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه^(٤).

ب) الأدلة المستمدة من الروايات والأحاديث النبوية

يستند القائلون بعدم علم العلماء بمتشابه القرآن على ما روي عن ابن

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٤٨. البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق: ج ٢، ص ٧٢. الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٩٥.

الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج ٧، ص ١٩٠.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) انظر: السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٨.



عباس^(١) وعائشة ومالك. وقد اختار هذا القول الكسائي والفرّاء والجبائي^(٢)، وأيده الطبري والرازي^(٣).

وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ). فهذا يدل على أن الواو للاستئناف؛ لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة، فأقل درجاتها أن يكون خبراً بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن، فيقدم كلامه في ذلك على من دونه^(٤).

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن التأويل عندهم لا يعني التفسير، وإنما معرفة بقاء أمة النبي محمد ﷺ، ووقت قيام الساعة، وفناء الدنيا، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول النبي عيسى، وخروج الدجال^(٥).

٣. الراسخون في العلم يعلمون قسماً من تأويل المتشابه

يقف المحققون من العلماء من العلم بتأويل متشابه القرآن منزلةً وُسطى،

(١) يستند القائلون بعلم العلماء بتأويل متشابه القرآن على رواية ابن عباس أيضاً، وهذا غير معقول؛ إذ لا يمكن أن يكون النفي والإيجاب لمسألة واحدة، ومن خلال مصدر واحد. انظر: الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) انظر: الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج ٧، ص ١٩٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤١.

(٣) انظر: الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج ٧، ص ١٩٠. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٥٠.

(٤) السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٨.

(٥) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٤٨. المرتضى، علي بن الحسن، غرر الفوائد ودرر القلائد، ج ٢، ص ٩٦.

فلا يخرجون العلماء عن أن يعلموا شيئاً من تأويل القرآن جملة، ولا يعطونهم منزلة العلم بجميعه، بل يقولون: إن في التأويل ما يعلمه العلماء، وفيه ما لا يعلمه إلا الله^(١). وهذا قول الحسن البصري، وإليه ذهب أبو علي الجبائي؛ لأنه يجعل المراد بالتأويل هو مصائر الأمور وعواقبها، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾^(٢)، وإن قول الراسخين في العلم: ﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ دلالة على استسلامهم في ما لم يعلموا من تأويل المتشابه، وإن كانوا يعلمون كثيراً منه^(٣).

(١) انظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، مصدر سابق: ص ٨.

(٢) سورة الأعراف: ٥٣.

(٣) انظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، مصدر سابق: ص ٩.

الفصل الثاني

تحليل مضمون الكتاب
وبيان منهج المؤلف فيه

وفيه مبحثان

- المبحث الأول: أبواب الكتاب وأقسامه
- المبحث الثاني: خصائص ومميزات منهج ابن شهر آشوب

في تفسير القرآن

المبحث الأول

أبواب الكتاب

إنّ البحث في التجربة التفسيرية لمفسّر ما، يتطلّب عدّة إيضاحات، منها: بيان الطريقة التي سلكها في تفسيره، والمناهج التي اعتمدها في ذلك، بالإضافة إلى تحديد بعض المعالم الأساسية لآتجاهه التفسيري؛ ولذا سنقوم في هذا الفصل بإيضاح هذه الأمور مع التطبيقات المتنوعة والمختلفة حول طريقة المفسّر- ومنهجيته في التفسير، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض النقاط المهمّة في هذا الكتاب، وعن طريق تحليل مضمونه والتقسيمات التي اتبعها ابن شهر آشوب في هذا التفسير، وعلى الشكل التالي:

يتألّف كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه) من مقدّمة مهمّة تحتوي على مطالب وأبحاث غنية ترتبط بمفهوم التشابه، وتحتاج إلى دراسات قرآنية عديدة ومعتمّة لكشف الاختلاف الحاصل بين العلماء والمفسّرين في تلك المسائل.

وقد صرّح ابن شهر آشوب في بداية كتابه، حيث قال: «سألتم وفقكم الله للخيرات إملاء كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات، ولعمري إنّ لهذا التحقيق بجرّاً عميقاً ولا يكاد يوجد منه إلّا ألفاظ في كتب كبار المتكلمين أو نكت في بعض تفاسير العدليين... فمنها ما ابتدأناه ومنها ما سبقنا إليه فحررناه، ومنها ما وجدناه مختلفاً فحققناه»^(١).

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه ج ١، ص ٤٦.

يظهر من هذا النص أنّ المؤلّف لم يقصد وراء تفسيره أن يتعرض لتفسير كتاب الله بصورة تفصيليّة، بل كان يريد أن يفسّر الآيات المتشابهة التي يصعب تأويلها أو يزعم أنّ فيها مناقضة أو مخالفة لقواعد اللّغة والإعراب، أو تحتل معنيين أو أكثر لا يترجّح أحدهما أو لا يصحّ الظاهر منها، أو تحتفي وراؤها دلالة أو حجّة غير ظاهرة.

ومّا أشار إليه ابن شهر آشوب أيضاً في مقدّمة كتابه هذا عدّة مسائل ومحاور، لا بدّ من الوقوف عليها وعرضها مفصلاً، منها تعريفه للمحكم والمتشابه، والذي أشرنا إليه مفصلاً في المبحث الثاني من الفصل الأوّل^(١).

أمّا المحور الثاني فهو:

أقسام المتشابه في القرآن

اختلف العلماء في تحديد المحكم والمتشابه في القرآن، وكثرت آراؤهم في هذا الموضوع وتعدّدت وجهات نظرهم؛ حيث تكرّرت كلمة (المتشابه) في آيات عديدة من القرآن، وقد جاءت بمعنى الالتباس تارة، والمماثلة تارة أخرى.

١- الالتباس. ورد في القرآن عن بني إسرائيل قولهم: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾^(٢)، وهذا ما ذهب إليه الزركشي وجماعة؛ حيث أولوا ﴿تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾^(٣) بمعنى: التبس علينا بالصفة^(٣).

(١) انظر: ص ٢٠ من هذه الرسالة.

(٢) سورة البقرة: ٧٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن ج ٢، ص ٧٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١، ص ٤٩٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٥٩.

كذلك تحدّث القرآن الكريم عن المشركين بقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ﴾^(١). والتشابه هنا جاء بمعنى الالتباس بين خلقه الله وخلق الإنسان^(٢).

كما وصفت بعض الآيات بالمتشابهات ﴿وَأُخْرٍ مُتَشَبِهَاتٍ﴾^(٣)؛ أي: فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم^(٤).

٢- المماثلة: جاءت كلمة (التشابه) في القرآن بمعنى المماثلة في قوله وصفاً لثمر الجنة: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهَاتٍ﴾^(٥).

قال الزركشي: «متفق المناظر، مختلف الطعوم، ويُقال للغامض: متشابه؛ لأنّ جهة الشبه فيه كما تقول لحروف التهجي. والمتشابه مثل المشكل؛ لأنّه أشكل أي دخل في شكل غيره وشاكله»^(٦).

كما يحدّثنا القرآن عن الذين لا يعلمون أنّ قولهم يشبه قول بعضهم الآخر في كلّ زمان ومكان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا... تَسَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٧). فأشبهه بعضهم بعضاً في الكفر والقوّة، والاعتراض على الأنبياء من غير

(١) سورة الرعد: ١٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٥٢.

(٥) سورة البقرة: ٢٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن ج ٢، ص ٦٩.

(٧) سورة البقرة: ١١٨.

حجّة، والتعنّت والعناد^(١).

وكذلك يصف الله تعالى القرآن بأنّه متشابه بقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾^(٢)، أي: يشبه بعضه في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض، فهو كلّ متشابه من هذا الوجه^(٣).

وهكذا يتّضح ممّا بيّناه من معنى المتشابه في القرآن، فيثبت أنّ للمتشابه اسماً لمعنيين: أحدهما: ما يوافق بعضه بعضاً، والثاني: لما التبس من المعنى وخفيت دلالته على بعض الناس.

رأي ابن شهر آشوب في معنى المتشابه

أمّا على رأي ابن شهر آشوب، فقد لخصّ لنا معنى المتشابه في القرآن على أربعة أقوال:

الأول: ما يقع فيها اختلف الناس في أمور الدين، نحو قوله تعالى ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَالِيٰ عَمْرٍ﴾^(٤)، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥).

الثاني: ما يتحمّل معنيين أو ثلاثة، أو أكثر، فيحمل على الأصوب، مثل: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٦)، و: ﴿تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٧).

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٦٦.

(٢) سورة الزمر: ٢٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٤) سورة الجاثية: ٢٣.

(٥) سورة طه: ٨٥.

(٦) سورة المائدة: ٦٤.

(٧) سورة القمر: ١٤.

الثالث: مما يزعم فيه من مناقضة، نحو: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١)، وقوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣).

الرابع: ما هو محكم فيه غموضه، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤)، وما يتبع ذلك من الغوامض التي تحتاج إلى بيان، ويُستخلص منها إما بموضوع اللغة، أو بمقتضى العقل، أو بموجب الشرع^(٥).

ومن الجدير بالذكر أن ابن شهر آشوب يشير إجمالاً في النقطة الأخيرة إلى منهجه في رفع التشابه والمختلف فيه ومعالجته من خلال اللغة، أو بمقتضى العقل أو بموجب الشرع، وهذا ما سنبينه في طيّات البحث إن شاء الله تعالى.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أن أقوال العلماء - مع اختلاف مذاهبهم - تؤول في النهاية إلى أن «المحكم» هو الذي يدل على معناه بوضوح لا خفاء فيه، والمتشابه: هو الذي يخلو من الدلالة الراجعة على معناه»^(٦).

ولما كان المحكم واضح المعنى، لهذا، سيقصر - البحث على التشابه في القرآن. وإذا كان لابدّ من ذكر المحكم، فلأجل توضيح التشابه وإجلاء خفاياه.

(١) سورة فصلت: ١٢.

(٢) سورة فصلت: ١٠.

(٣) سورة الأعراف: ٥٤، وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٤) سورة الشورى: ١١.

(٥) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٧-٤٨.

(٦) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٨١.

الحكمة من حصول المتشابه

أمّا المحور الثالث في المقدّمة، الذي جاء تحت عنوان (الحكمة من إنزال المتشابه)، أو بعبارة أخرى (حكمة حصول المتشابه في القرآن)، فأعتقد أنّ هذا المطلب من المطالب المهمّة التي يجب أن نسلّط الضوء عليه؛ حيث ذكر المفسّرون وجوهاً عديدة في بيان الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم، نذكر أهمّها:

قال الزمخشري في الكشّاف: «فان قلت: فهلاً كان القرآن كلّه محكماً؟

قلت: لو كان كلمه محكماً، لتعلّق الناس به؛ لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عمّا يحتاجون فيه إلى الفحص، والتأمّل من النظر، والاستدلال. ولو فعلوا ذلك، لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله، وتوحيده إلّا به، ولمّا في المتشابه من الابتلاء، والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولمّا في تقادح العلماء، وإتباعهم القرائح في استخراج معانيه، وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم الجمّة، ونيل الدرجات عند الله، ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله، ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره. وأهمّه طلب ما يوفّق بينه، ويجريه على سنن واحد، ففكّر وراجع نفسه وغيره، ففتح الله عليه، وتبيّن مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده، وقوة في إيقانه»^(١).

وقد أجاب السيّد الطباطبائي عن سبب اشتغال القرآن على المتشابه بأجوبة مهمّة قائلاً: «والغرض الأقصى من ذلك وهي أمور:

منها: أنّ الله سبحانه ذكر أنّ لكتابه تأويلاً، هو الذي تدور مداره المعارف

(١) الزمخشري، جار الله محمود، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج ١، ص ٥٣٨.

القرآنية، والأحكام والقوانين وسائر ما يتضمّنه التعليم الإلهي، وأنّ هذا التأويل الذي تستقبله وتتوجّه إليه جميع هذه البيانات أمر يقصر عن نيّله الأفهام، وتسقط دون الارتقاء إليه العقول، إلّا نفوس طهّروهم الله وأزال عنهم الرجس، فإنّ لهم خاصة أن يمّسوه، وهذا غاية ما يريده تعالى من الإنسان المجيب لدعوته في ناحية العلم، أن يهتدي إلى علم كتابه، الذي هو تبيان كل شيء، ومفتاحه التطهير الإلهي، وقد قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾^(١)، فجعل الغاية لتشريع الدين هي التطهير الإلهي...

ومنها: أنّ القرآن قطع بأنّ الطريق الوحيد إلى إيصال الإنسان إلى هذه الغاية الشريفة تعريف نفس الإنسان لنفسه، بتربيته في ناحيتي العلم والعمل، أمّا في ناحية العلم فبتعليمه الحقائق المربوطة به من المبدأ والمعاد وما بينهما من حقائق العالم، حتى يعرف نفسه بما ترتبط به من الواقعيّات معرفة حقيقية، وأمّا في ناحية العمل فبتحميل قوانين اجتماعية عليه، بحيث تصلح شأن حياته الاجتماعية ولا تشغله عن التخلّص إلى عالم العلم والعرفان، ثمّ بتحميل تكاليف عبادية يوجب العمل بها، والمزاولة عليها توجه نفسه وخلوص قلبه إلى المبدأ والمعاد، وإشرافه على عالم المعنى والظاهرة، والتجنّب عن قذارة الماديّات وثقلها...

ومنها: أنّ الهداية الدينية إنّما بنيت على نفي التقليد عن الناس، وركوز العلم بينهم ما استطيع؛ فإنّ ذلك هو الموافق لغايتها، التي هي المعرفة، وكيف لا؟! ولا يوجد بين كتب الوحي كتاب، ولا بين الأديان دين يعظّمان من أمر العلم،



ويحرّضان عليه بمثل ما جاء به القرآن والإسلام!

ومنها: أنّه لما كانت عامّة الناس لا يتجاوز فهمهم المحسوس، ولا يرقى عقلهم إلى ما فوق عالم المادة والطبيعة، وكان من ارتقى فهمه منهم بالارتياضات العلمية إلى الورود في إدراك المعاني وكليّات القواعد والقوانين، يختلف أمره باختلاف الوسائل التي يسّرت له الورود في عالم المعاني والكليّات، كان ذلك موجباً لاختلاف الناس في فهم المعاني الخارجة عن الحسّ والمحسوس اختلافاً شديداً، ذي عرض عريض على مراتب مختلفة، وهذا أمر لا ينكره أحد.

ومنها: أنّه تحصّل من البيان السابق أنّ البيانات اللفظية القرآنية أمثالاً للمعارف الحقّة الإلهية؛ لأنّ البيان نزل في هذه الآيات إلى سطح الأفهام العامة، التي لا تدرك إلاّ الحسيات ولا تنال المعاني الكلّية إلاّ في قالب الجسمانيات، ولما استلزم ذلك في إلقاء المعاني الكلّية المجرّدة عن عوارض الأجسام والجسمانيات أحد محذورين، فإنّ الأفهام في تلقّيها المعارف المرادة منها إن جمدت في مرتبة الحسّ والمحسوس انقلبت الأمثال بالنسبة إليها حقائق ممثلة، وفيه بطلان الحقائق وفوت المرادات والمقاصد، وإن لم تجمد وانتقلت إلى المعاني المجردة بتجريد الأمثال عن الخصوصيات غير الدخيلة، لم يؤمن من الزيادة والنقيصة^(١).

ولم يختلف ابن شهر آشوب عن الشيخ الطوسيّ اختلافاً ملحوظاً بخصوص هذه النقطة، بل تكاد تتقارب الإجابة على التساؤل الحاصل حول الحكمة من إنزال المتشابه في القرآن، حيث قال:

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥٨-٦٢.

والحكمة في إنزال المتشابه: «للمحذ على النظر الذي يوجب العلم، دون الاتكال على الخبر من غير نظر، وذلك أنه لو لم يعلم بالنظر أن جميع ما يأتي به الرسول ﷺ حق، يجاوز أن يكون الخبر كذباً، وبطلت دلالة السمع وفائدته»^(١).

ثم إنه به يميز العالم من الجاهل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢).

ثم إنه منزل على لغة العرب. ومن عاداتهم: الاستعارة، والتعريض، واللحن. وقد يكون محكماً من وجه، ومتشابهاً من وجه؛ كالمعلوم والمجهول، فتصح الحجة من وجه المعلوم، دون المجهول^(٣).

إلا أن السيد محمد باقر الحكيم - وهو من الباحثين المعاصرين - أعطى تفسيراً مفصلاً لحكمة ورود المتشابه في القرآن؛ حيث قسم المتشابه إلى قسمين رئيسين، هما:

الأول: المتشابه الذي لا يعلم تأويله ومصداقه إلا الله.

الثاني: المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم.

فحكمة وجود المتشابه على الرأي الأول أنه يعتبره من الأهداف الرئيسة التي جاء من أجلها القرآن الكريم، وهو ربط الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى، وبالمعاد، وهو الدار الآخرة وعوالمها. وهذا الربط لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق طرح الموضوعات المتعلقة بعالم الغيب وما يتصل به من أفكار، ومفاهيم، لتنمية

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٨.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) انظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٩٨.

غريزة الإنسان. لذلك، فليس هناك من سبيل لتفادي المتشابه في القرآن؛ لأنه هو السبيل الوحيد الموصل إلى الهدف.

أمّا على الرأي الثاني، فإنّ القرآن أراد أن يطرح أمام العقل البشريّ بعض المسائل الكونية، أو الإنسانية، وغيرها من المفاهيم؛ لينطلق في تدبّر حقيقتها، واكتشاف ظلماتها، أو يقترب منها بالقدر الذي تسمح له معرفته ودرجته في تلك المعرفة.

ونحن في هذا العصر؛ إذ نعيش التطور المدنيّ العظيم في جميع مجالات الحياة، ندرك قيمة بعض الآيات القرآنية التي ألمحت إلى بعض الحقائق العلمية، ووضعها تحت تصرّف الإنسان منطلقاً له في بحثه وتحقيقه^(١).

أمّا المحور الأخير في مقدّمة ابن شهر آشوب، فجاء تحت عنوان: «أسباب الشبهة»، فقد يكون التشابه سبباً لتوهم وجود الشبهة في ظاهر الآيات. ومن هنا انطلق ابن شهر آشوب لبيّن أسباب حصول الشبهة. وقد عقد لهذا المطلب باباً للإجابة عن هذا النوع من المتشابه.

أمّا الشبهة، فقد بيّنها في مقدّمة الكتاب بأنّها: ما تصوّر بصورة الدلالة، وأسبابها كثيرة؛ منها: «اتباع هوى من سبقه إليه. والثاني: أن يدخل عليه شبهه، فيتخيّله بصورة الصحيح. والثالث: التقليد. والرابع: ترك النظر. والخامس: نشوء على شيء صار ألفه، فيصعب عليه مفارقتة»^(٢).

(١) انظر: الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن: ص ١٨٩-١٩٠.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٩. التبيان، ج ٩، ص ١٠٠. مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٦٠.

أبواب متشابه القرآن

وبعد أن انتهينا من بيان مقدّمة ابن شهر آشوب في كتابه (متشابه القرآن والمختلف فيه)، نشرع الآن في عرض أبواب الكتاب العشرة، وتسليط الضوء على طريقة ابن شهر آشوب في ترتيب الكتاب، والاطّلاع على مضامينه المختلفة. ويتألّف الكتاب من عشرة أبواب مختلفة، كلّ باب يحتوي على عدّة فصول، تتعلّق موضوعاتها بذلك المحور.

ويتابع ابن شهر آشوب مكتفياً بالإشارة إلى بداية كل فصل جديد بكلمة (فصل)، فجمع في كلّ فصل الآيات المتشابهات التي تجتمع بالدلالة أو القرينة أو الوجه أو سبب التشابه أو نوعه، وخرج في بعض الفصول عن الاختصار؛ فبسط القول في الآية الأولى أو في الآيات التي جعلها كمقدّمة للفصل، والتي تدل على ما سواها^(١)، ثمّ يختصر القول في باقي الآيات التي يوردها في الفصل اللاحق، اعتماداً على الشرح المتقدم الذي يغنيه عن التكرار والإعادة.

وقد نهج ابن شهر آشوب طريقة مثلى في تبويب كتابه، تستوعب جميع أنواع التشابه، وأسبابه، ولا تخرج منه آية من الآيات المتشابهة؛ إذ وزّع هذه الآيات حسب موضوعها على عشرة أبواب، هي:

١. باب ما يتعلّق بأبواب التوحيد

وقد تضمّن هذا الباب ستّة وخمسين فصلاً، حيث فسّر فيها الآيات المتشابهة ذات العلاقة بعقيدة التوحيد. وقد بدأ هذا الباب بالآيات المتعلقة بخلق

(١) راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج١، ص٣٦٢، ج٢، ص٤٨ و٧٢، ج٤، ص٢٥٧.

السموات والأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١). وتطرق في هذا الباب إلى محاور عدّة ومواضيع متنوّعة، منها: ما يتعلّق بخلق الإنسان، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٢). ومنها: ما يتعلّق بالملائكة، قال عزّ وجل: ﴿عَلَيْهَا مَلَكِكَةٌ غَالِظٌ شِدَادٌ﴾^(٣). ثمّ تعرّض لذكر الآيات الدالّة على صفات الذات، ومنها: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤)، و﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥).

كما تناول بالتأويل الآيات التي تنافي عقيدة التوحيد في الذات وصفات الكمال، وكلّ مادّل على الرؤية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٦). والتجسيم؛ كاليد والوجه والعين: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٧)، و﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٨)، و﴿وَلُنْصَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(٩)، بالإضافة إلى معنى الكرسي بقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١٠)، ومعنى العرش والاستواء:

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) سورة الزمر: ٦.

(٣) سورة التحريم: ٦.

(٤) سورة البقرة: ٣٠.

(٥) سورة البقرة: ٢٩، سورة الحديد: ٣.

(٦) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٧) سورة الفتح: ١٠.

(٨) سورة الرحمن: ٢٧.

(٩) سورة طه: ٣٩.

(١٠) سورة البقرة: ٢٥٥.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١). وغيرها من الآيات مما دار حولها الخلاف، واشتدَّ الجدل، وأقيمت المناظرات حولها^(٢).

وما هذه إلا نبذة موجزة عما يتعلَّق بباب التوحيد، تعرَّضنا إليه بنحو الاختصار والتوضيح.

٢. باب ما يدخل في أبواب العدل

ويحتوي هذا الباب على ثمانية وثلاثين فصلاً في العدل الإلهي، حيث بدأ بمقدمة طويلة بيّن فيها فساد قول المجبرة. نذكر على سبيل التوضيح بعضاً مما طرحه لعدّة تساؤلات استنكارية لإبطال مزاعم المجبرة قائلاً: «وإذا كان جميع الأفعال لله تعالى فبأي شيء يؤمر، وينهى، ويكلف، ويحث، ويُرهب، وهو لا يقدر على تقديم، وتأخير، ولا نقض، وإبرام، ولا فعل، وترك؟ ولئن جاز التكليف من هذا حاله، جاز تكليف الجهاد»^(٣).

وذكر أيضاً عدّة آيات قرآنية مستشهداً بها على اختيار الإنسان في أفعاله وأقواله، وأنه مختار وليس مجبراً؛ كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٤).

وتضمّنت هذه المقدمة عدّة فصول أدخلها ابن شهر آشوب تحت هذا الباب؛ لارتباطها الوثيق ببحث العدل الإلهي والأبحاث المتفرعة عليه، كالهداية

(١) سورة طه: ٥.

(٢) راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٥٣-٤٣١.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٨.

(٤) سورة الإنسان: ٣.

والإضلال والإرادة والمشيئة، والتكليف والاستطاعة، بالإضافة إلى خلق أعمال العباد، والقضاء والقدر وغيرها. وقد عمل ابن شهر آشوب على تأويل جميع الآيات المتشابهة التي تمسك المجبرة بظواهرها لإثبات عقيدتهم مع تنزيه الخالق عن كل ظلم وإثبات عدله المطلق بعباده، ليجزي من امتثل لأوامره ويعاقب العصاة لنواهيته^(١).

٣. باب ما جاء في النبوات

ويحتوي هذا الباب على سبعة وثلاثين فصلاً، تناول فيها الآيات المتشابهة الواردة في النبوة وما يتعلق بها من العصمة والوحي وقصص الأنبياء. كما تضمن هذا الباب عشرة فصول فيما يتعلق بنبينا الأكرم ﷺ.

وقد عمل ابن شهر آشوب جاهداً على تأويل الكثير من الآيات القرآنية الواردة بخصوص نبينا الأكرم ﷺ، والتي لو أخذت بظواهرها لتنافت مع العصمة ومقام النبوة، فقام بتأويل الكثير من الخطابات القرآنية كآية ﴿عَسَّ وَتَوَلَّى﴾، وآيات النسيان، والشك، والجهل، وغيرها؛ لمنافاتها وتعارضها مع مقام النبوة الرباني^(٢).

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي لو خلّيت وظاهرها لتنافت مع مقام النبوة ومتعلقاتها كالعصمة؛ فدأب على تأويلها لتناسب مع المقامات الرفيعة لمنصب النبوة وعظمتها، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣).

(١) راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٧-٣٠٨.

(٢) للمزيد من الاطلاع راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٣١١-٥٠٤، وج ٣، ص ٦-٩٢.

(٣) سورة الأنعام: ٣٥.

حيث تعطي الآية معنى النهي عن الجهل، إلا أنها لا تدلّ على أن الجهل جائز عليه ﷺ، بل بمقدوره ﷺ ذلك، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(١)، وإن كان الشرك لا يجوز عليه ﷺ، لكنّه قادر على الشرك، جاز للباري تعالى أن ينهاه عنه^(٢).

٤ . باب ما يتعلّق بالإمامة

احتوى هذا الباب على أربعة وعشرين فصلاً، تناول فيها ابن شهر آشوب الآيات التي تشتمل على مباحث الإمامة، كضرورة وجود إمام في كلّ أمة وفي كلّ عصر، ووجوب كون الإمام معصوماً. كما تعرّض إلى صفات الإمام، وأهمّها: وجوب كون الإمام أفضل وأعلم وأشجع من رعيّته. واستدلّ بذلك بعدة آيات قرآنية، نشير إلى قسم منها:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾^(٣)، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٤). حيث ذكر أنّ ظاهر الآية الأولى وعمومها يقتضي وجود إمام في كلّ زمان.

أمّا الآية الثانية، فإنّها عامّة في سائر الأمم وهذا العموم يقتضي- أن يكون في كلّ زمان نذير، فعند وجود الأنبياء يكونوا هم النذير للأمم، وعند فقدانهم يكون الأئمة عليهم السلام النذير والحجّة على الخلق.

(١) سورة الزمر: ٦٥.

(٢) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٥٤. والطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير

القرآن، ج ٤، ص ١٢٣.

(٣) سورة الإسراء: ٧١.

(٤) سورة فاطر: ٢٤.

أما فيما يختص بعصمة الإمام، فقد استدلل بقوله تعالى: ﴿تَوَقَّى الْمُلُكَ مَنْ كَفَرًا وَلَا ظَالِمًا﴾^(١)، فذكر أنها تدل على وجوب عصمة الإمام، وأن لا يكون في باطنه كافرًا ولا ظالمًا؛ لعدم جواز إعطاء الملك من قبل الله تعالى من النبوة والإمامة للإنسان الفاسق، فلا يمكن إعطاء الصلاحيات كأمور السياسة والتدبير للإنسان الفاسق؛ لأنه تملك للأمر العظيم، وهو مخالف للقرآن الكريم؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وإعطاء هكذا منصب من أعظم العهود.

أما ما يتعلق ببقية فصول هذا الباب فقد خصصها لفضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام والنص عليه في غدیر خم، وفضائل الحسن والحسين عليهما السلام والاستدلال على إمامتهما، وتحقيق المراد بأهل البيت عليهما السلام وأولي القربى، ومعنى آل ياسين، وكون الجد أباً، مستدلاً بذلك على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون أباً لأولاد فاطمة عليها السلام^(٣).

كما اشتمل هذا الباب على الأدلة والأحاديث التي تثبت إمامة الأئمة الاثني عشر.

أما الفصل الأخير في هذا الباب، فقد خصص في إثبات كون الإمامة ليست دعوى أو وراثية، بل هي نص من قبل الله عز وجل، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٤).

٥. باب المفردات

أما هذا الباب، فقد تضمن واحداً وعشرين فصلاً، اشتمل على الآيات

(١) سورة آل عمران: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٩٥-٣٣٢.

(٤) سورة المائدة: ٧٧.

المتشابهة في باب المعاد وما يتعلّق به من التوبة والأجل والرجعة، ومعنى الموت وعذاب القبر، وأحوال المجرمين يوم القيامة، ومعنى الشفاعة، ووصف أحوال جهنّم والعذاب فيها، والجنّة وأوصافها وأحوال أهلها.

كما يشمل هذا الباب الآيات المتشابهة في معانٍ تبدو متناقضة، كمعنى «أحكمت ومحكمات» و«ومتشابهاً ومتشابهات»، وغيرها. وقد أول ابن شهر آشوب الآيات المتشابهة التي تتنافى مع علم الله وحكمته^(١).

٦. باب ما يتعلّق بأصول الفقه

اشتمل هذا الباب على عشرة فصول تتعلّق بالأدلة القرآنية لأصول الفقه، كدلالة صيغة الأمر ومعانيها، والشرط والاستثناء، والمقيّد والمطلق، وتخصيص الكتاب بالسنة، وثبوت البيان بالفعل والقول، وجواز تأخير البيان المجرى، وقبح تأخير بيان العموم، كما اشتمل هذا الباب أيضاً على مبحث النسخ وأنواعه، والأحكام المترتبة عليه، كعدم جواز نسخ القرآن بالسنة، كذلك يحتوي هذا الباب على مبحث الخبر الواحد، والقياس، والإجماع، وغيرها من المباحث^(٢).

٧. باب فيما يحكم عليه الفقهاء

يحتوي هذا الباب على ثلاثة وعشرين فصلاً في مواضيع الفقه المتعدّدة، حيث تعرّض فيها إلى آيات الأحكام وأبوابها المختلفة، وما تنطوي عليه تلك الآيات من دلالات فقهية حكم عليها الفقهاء بالوجوب، أو الحرمة، أو الاستحباب.

(١) راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج٣، ص ٣٣٥-٤٨٤، ج٤، ص ٥٤-٦٤.

(٢) لاحظ: المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٧-١٢٦.

فبدأ هذا الباب بفصل في الطهارة والأحكام المترتبة عليها، ثم تعرّض بعد ذلك إلى الماء الطاهر وأقسامه، وجواز استعماله في الوضوء، ثم أفرد فصلاً مختصاً بأحكام الوضوء والتيمم وكيفيتهما، بعد ذلك أفرد فصلاً للصلاة وآيات الأحكام المتعلقة بها.

كما يشمل هذا الباب أيضاً فصلاً في الصوم، والزكاة، والخمس، والحج وملحقاته، وفصلاً في الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنكاح والطلاق والحدود، والديات، وغيرها^(١).

٨. باب النسخ والمنسوخ

ويحتوي هذا الباب على فصلين، يبيّن فيهما الآيات الناسخة والمنسوخة في القرآن، ووضّح ذلك عن طريق عرضه لآراء كبار المفسّرين؛ كابن عباس، والحسن البصري، وقتادة، والجبائي وغيرهم، واستعرض آراءهم المتعلقة بالآيات الناسخة والمنسوخة، فرجّح بعضها تارةً، وردّ بعضها تارةً أخرى.

كما اشتمل هذا الباب أيضاً على النسخ وأقسامه في القرآن، حيث قسّم ابن شهر آشوب النسخ ثلاثة أقسام، مبيّناً كلّ قسم منها من خلال الآيات القرآنية المتعلقة بكلّ مورد من الموارد الثلاثة^(٢).

٩. باب ما جاء من طريق النحو

ويشتمل هذا الباب على ثمانية عشر فصلاً، كشف فيها ابن شهر آشوب

(١) لاحظ: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ١٢٩-٣٦١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٦-٣٩٣.

النقاب عن الآيات المتشابهة التي يكون فيها النحو سبباً في المتشابه؛ كالتذكير، والتأنيث، والعدد، والغلبة، والواحد، والجمع، والمنوع من الصرف، والإشباع، والاستثناء، والشرط، والتأكيد، وغيرها من المباحث النحوية^(١).

١٠. باب النوادر

ويشتمل هذا الباب على سبعة فصول في مواضيع بلاغية مختلفة كاشفة عن أسرار البلاغة القرآنية، كالحقيقة، والمجاز، وما يتفرّع على المجاز من الزيادة والنقيصة، ووضع الكلام في غير محلّه، وما يتفرّع عليه من أوجه ثلاثة، هي: القلب، والنقل، والتغيير، وتعميم الخصوص، وتخصيص العموم، ومعاني القرآن وما تفرّد به، وغيرها؛ حيث قدّم ابن شهر آشوب إجابات دقيقة عن الشبهات والإشكالات التي قد تُثار على ظاهر النظم والبلاغة القرآنية؛ من خلال أدلة متينة ورصينة، مستشهداً بأدلة بلاغية وأقوال الشعراء العرب^(٢).

وبهذا، قد انتهينا من عرض موجز ومجمل لكتاب «متشابه القرآن والمختلف فيه»، من خلال أبوابه العشرة المنضوي تحتها جُلّ الآيات المتشابهة، في محاور وأبحاث متنوّعة ومختلفة.

(١) انظر: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٧-٥٠٦.

(٢) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٥، ص ٧-١١١.



المبحث الثاني

خصائص ومميزات منهج ابن شهر آشوب في تفسير القرآن

نعتقد أنّ كلّ باحث يحتاج في بداية بحثه إلى آليات وطرق يسير على وفقها من خلال الاعتماد على خطوات منظّمة لمعالجة مسألة أو أكثر للوصول إلى النتيجة المتوخّاة من بحثه، وهذا ما يُسمّى بالمنهج، فبدون تحديد واضح للمنهج من الباحث يجعل طريق البحث عقياً لا طائل منه، ولم يتمكّن من الوصول إلى نتائج مثمرة وسليمة.

ولا يختصّ موضوع المناهج بعلم دون آخر، بل يرتبط بأغلب العلوم التي لها صلة وعلاقة بالمعرفة الإنسانية.

ومن هذا المنطلق أصبح ضرورة على الباحث في مجال دراسته لمنهج تفسيريّ معيّن، أن يحدّد الخطوط العامّة لذلك المنهج الذي يتناوله بالبحث، وأن يبيّن الخطّة التي سار عليها، والقواعد والأسس التي اعتمدها في ذلك.

عوامل نشوء المناهج التفسيرية

إنّ أهمّ العوامل الرئيسة التي ساهمت بشكل فعّال في ظهور أبحاث تهتمّ بدراسة مناهج المفسّرين هي تعدّد المدارس التفسيرية واختلافها منذ زمن الرسول ﷺ إلى عصرنا الحاضر، حيث ظهر مئات المفسّرين، وكُتبت مئات التفاسير المختلفة باختلاف تلك المناهج.

وهناك عامل آخر ساهم في نشوء المناهج التفسيرية، وهو تعدّد الانتماءات الفكرية والعقدية والاجتماعية التي ساهمت وبشكل كبير في تعدّد المناهج وتنوّعها في تفسير وتأويل النص القرآنيّ.

ومن هنا، جاءت ضرورة البحث في مناهج المفسّرين.

يقول الدكتور الخالدي: «إنّ مناهج المفسّرين تُقدّم للدارس القواعد والآداب والضوابط والتوجيهات التي لا بدّ منها في عالم التفسير، كما تُقدّم له الأسس والأصول المنهجية الموضوعية التي لا بدّ من الانطلاق منها في عالم التفسير، وهي تحدّث الدارس عن نشأة علم التفسير، ومدارس التفسير واتّجاهاته في التاريخ الإسلامي، وتعرّفه على أشهر التفاسير وأئمّة المفسّرين، وتحدّد له مناهجهم وطرائقهم في التفسير»^(١).

وقد انبرى الباحثون والمحقّقون في علوم القرآن - حسب توجهاتهم - على البحث عن أسباب تنوّع التفسير وتعدّده، فظهرت اصطلاحات كالمناهج والاتجاه؛ لذا، سنبيّن هذه المصطلحات، ونحدّد المراد منها لغةً واصطلاحاً.

المناهج لغةً

قال ابن منظور: «نهج: طريق نهج: بيّن واضح، وهو النهج.... والمنهاج: كالمناهج. وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٢). وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار منهجاً واضحاً بيّناً، والمنهاج: الطريق الواضح. واستنهج

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين، ص ٢٢.

(٢) سورة المائدة: ٤٨.

الطريق: صار منهجاً»^(١).

وقال الراغب الأصفهاني: «نهج: النهج الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج: وضح ومنهج الطريق ومنهاجه، قال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، ومنه قولهم: نهج الثوب وأنهج: بأن فيه أثر البلى، وقد أنهجه البلى»^(٢).

المنهج اصطلاحاً

عُرِّفَ المنهج اصطلاحاً بعدة تعاريف متنوّعة ومتعدّدة، منها:

ما ذكره الدكتور الخالدي بأنّه: «الطريق الواضح البين المستقيم.

أو هو الخطة المرسومة المحدّدة للدراسة، وهذه الخطة لها قواعد وأسس

ومنطلقات، ولها طرق وأساليب وتطبيقات»^(٣).

وهناك عدّة تعريفات أبرزها الدكتور عبد الهادي الفضلي في بيان معنى

المنهج اصطلاحاً وقد ذكر أشهرها، حيث قال: «الطريق المؤدّي إلى الكشف عن

الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامّة، تهيمن على سير العقل وتحدّد

عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة»^(٤).

إذن، فكّل هذه التعاريف المتقدّمة تُشير إلى حقيقة واحدة، وهي أنّ المنهج هو

القواعد المنظّمة للوصول إلى حقيقة معيّنة، تختلف باختلاف تعدّد العلوم وتباينها.

أمّا المنهج التفسيريّ بالمعنى الاصطلاحيّ، فقد عرّفه بعض الباحثين

(١) لسان العرب، ج ٢ ص ٣٨٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٠٦.

(٣) تعريف الدراسين بمناهج المفسرين، ص ١٦.

(٤) انظر: الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث، ص ٥٠.

بأنه: «القواعد الأساسية التي ينطلق منها الباحث في نظره للقرآن، وتعامله معه، وقيامه بتفسيره وتأويله»^(١).

وأيضاً ما جاء عن السبحاني بأنه: «تبين طريقة كلِّ مفسِّر في تفسير القرآن الكريم، والأداة والوسيلة التي يعتمد لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات»^(٢).

الاتجاه لغةً

«اتَّجَهْتُ إِلَيْكَ: أَي تَوَجَّهْتُ لِأَنْ لَأُصِلَ التَّاءَ فِيهِمَا وَאו»^(٣).

الاتجاه اصطلاحاً

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن اللغوي كثيراً، حيث عُرِّف الاتجاه اصطلاحاً بأنه: «المباحث التي يهتم بها المفسِّر في تفسيره مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات»^(٤).

فالالاتجاه اصطلاحاً هو ما يتوجَّه إليه الإنسان، وهذا التوجُّه ينعكس على عمله وتفكيره، فالمفسِّر عندما تكون له ميول واتجاهات كلامية أو فقهية أو لغوية، تنعكس على طابعه وذوقه التفسيري؛ لذا، وُجِدَت لدينا مجموعة من التفاسير موزَّعة على اتجاهات متنوِّعة بسبب تلك الميول النفسية والخصائص الذهنية التي يتمتَّع بها المفسِّر.

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص ٦٠.

(٢) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣.

(٣) لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٥٦. والزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، ج ١٩، ص ١١٣.

(٤) المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣.

الفرق بين المنهج والاتجاه

من خلال ما تقدّم من التعاريف السابقة، يظهر الفرق بين المنهج التفسيري والاتجاه التفسيري، وسوف نلخصها فيما يلي:

١- إنّ البحث في المناهج التفسيرية عبارة عن البحث في الآليات والطرق والوسائل التي يعتمدها المفسّر في تفسيره، بينما البحث في الاتجاهات التفسيرية ينصبّ حول شخص المفسّر وميوله واعتقاداته؛ بل ويتعدّى الأمر إلى أذواق المفسّرين وتأثيراتهم السياسية والاجتماعية، التي لها الأثر الكبير في تحديد الاتجاهات التي يسلكونها.

٢- إنّ البحث في المناهج هو البحث في الطريق والأسلوب الذي يسلكه المفسّر، حيث لا ترتبط بالمفسّر- بقدر ارتباطها بالمادّة المفسّرة. أمّا البحث في الاتجاهات، فهو بحث في الأغراض والأهداف التي يتوخّاها المفسّر، فغالباً ما يأخذ البحث في الاتجاهات الطابع المذهبي والعقائدي للمفسّر، فتترتب عليها نتائج مسبقة قبل أن يغور في تفسير الآيات القرآنية الكريمة ويبرز ذلك بشكل واضح وجليّ من خلال تتبّع جملة من التفاسير المختلفة والمتنوّعة.

أقسام التفسير ومناهجه

ظهرت جملة من الدراسات الجادة التي قام بها جمعٌ من أصحاب الفنّ في العلوم القرآنية، على تقديم مؤلّفات وبحوث جديدة في منهج التفسير، حرصت على ضبط المناهج التفسيرية المعتمدة عند علماء التفسير.

ورغم أنّ هذا الدراسات في مناهج التفسير جاءت متأخرة عن عصر الرسول ﷺ، إلاّ أنّها رصدت المناهج المعتمدة في المتون التفسيرية ووقفت على

القواعد والطرق والآليات التي يتبعها المفسرون في كتبهم التفسيرية، وحددت للباحثين الضوابط والمناهج المختلفة في أغلب النصوص والمتون التفسيرية.

ولعل أقدم من كتب بهذا المجال هو جلال الدين السيوطي في كتابه: (طبقات المفسرين)، ثم جاء بعده المستشرق جولد تسيهر حول المناهج التفسيرية تحت عنوان: (مذاهب التفسير الإسلامي)، وبعد ذلك تعددت المؤلفات في هذا المجال، مما أدى إلى ظهور كتب متنوعة، مثل: التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي، والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للشيخ معرفة، والمناهج التفسيرية في علوم القرآن للشيخ جعفر السبحاني، وغيرها من المؤلفات التي كُتبت وصُنفت في هذا المجال.

أسباب تنوع التفاسير

إن من أهم الأسباب الرئيسة المؤدية إلى تنوع وتعدد التفاسير هو الاختلاف الناشئ من تنوع المناهج والاتجاهات التفسيرية، ومن هنا جاءت التقسيمات المتعددة لمناهج التفسير واتجاهاته حسب توجهات الباحثين في هذا المجال.

وبناءً على هذا، سنبين نموذجين لتلك التقسيمات.

النموذج الأول: ذكر الشيخ معرفة نوعين للتقسيمات:

الأول: التفسير بالمأثور

ويندرج تحت هذا القسم عدة أنواع، منها:

١. تفسير القرآن بالقرآن

٢. تفسير القرآن بالسنة



٣. تفسير القرآن بقول الصحابي

٤. تفسير القرآن بقول التابعي

الثاني: التفسير الاجتهادي

وهذا النوع من التفسير يعتمد على التدبّر والنظر واستعمال الأدوات العقلية على الاستدلال، فقسّم هذا التفسير إلى أقسام، منها:

١. التفسير الفقهي.

٢. التفسير الأدبي.

٣. التفسير اللغوي.

٤. التفسير الفلسفي.

٥. التفسير العرفاني الصوفي.

٦. التفسير في اتجاه علمي.

٧. التفاسير الجامعة^(١).

إنّ هذا التصنيف جاء بناءً على التفريق بين مرحلتين في التفسير، اختصّت الأولى بالقسم الأوّل والذي جاء تحت عنوان: (التفسير بالمأثور)، فاختصّ هذا القسم بالمناهج التفسيرية؛ أمّا القسم الثاني وهو: (التفسير الاجتهادي)، فانطوت تحتها الاتجاهات التفسيرية.

وعلى ما تقدّم تبين لنا أنّ أسباب التنوّع في التفاسير تارةً يكون على أساس

(١) معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢ ص ٥٣٩ - ٥٥٢.

المنهج، وأخرى على أساس الاتجاه.

النموذج الثاني: تقسيم خالد بن عبد الرحمن العك^(١)

ذكر الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك في كتابه (أصول التفسير وقواعده) نموذجاً آخر من التقسيمات لمناهج المفسرين، بعد تفضيله لمنهج تفسيره القرآن بالقرآن، ومن هذه التقسيمات التي بيّنها هي:

الأول: التفسير بالمأثور، وجاء ضمنه عدّة أنواع:

١. تفسير القرآن بالقرآن.
٢. تفسير القرآن بالسنة.
٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين.

الثاني: التفسير العقلي والاجتهادي.

الثالث: التفسير الإشاري، وقد قسّمه على قسمين:

١. الإشارات الخفية التي يدركها أهل التقوى والصلاح.
٢. الإشارات الجلية التي تتضمنها الآيات الكونية في القرآن، والتي تشير

(١) ولد الشيخ العك في حيّ القيمرية بدمشق سنة (١٩٤٣م) وطلب العلم على يد عدد من علماء الشام، منهم: مفتي الجمهورية الشيخ الطيب محمد أبو اليسر عابدين، وشيخ القراء حسين خطّاب، وتأثر بمنهج الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني، وكان الشيخ العك من أهل العلم والفضل، باحث مصنّف محقق له عدّة مؤلّفات، شغل وظائف في وزارة الأوقاف، منها: مدرّس في مديرية الإفتاء، وعضوً في لجنة التدقيق والرّقابة الدينيّة للكتب والمطبوعات، تولّى الإمامة والخطابة في عدد من جوامع دمشق، توفيّ سنة (١٩٩٩م) عن عمر ناهز الثامنة والخمسين عاماً.

إشارات واضحة إلى كثير من العلوم الحديثة الاكتشاف.

الرابع: الاتجاهات المنحرفة في التفسير، ذكر تحت هذا القسم اتجاهات مختلفة في التفسير، منها الكلامي والفلسفي، والغلاة، والاتجاه السياسي، كما ذكر أيضاً التفسير العلمي، والتفسير الجديد للقرآن الكريم^(١).

المنهج الأثري في متشابه القرآن

وينقسم هذا المنهج إلى قسمين:

القسم الأول: تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر هذا المنهج من أقدم وأتقن المناهج التي استعملت في تفسير القرآن الكريم؛ لأنه المصدر الأفضل والأبقى لتبيين نفسه وقد قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

وأنصار هذا الاتجاه كثيرون، أبرزهم: الزركشي، وابن تيمية، والسيد الطباطبائي، وغيرهم.

يقول ابن تيمية عن هذا المنهج: «إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك - يعني التفسير - أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر»^(٣).

وقال السيد الطباطبائي: «أن نفس القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية

(١) انظر: العك، خالد بن عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، ص ٧٩ فما بعدها.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مقدّمة في أصول التفسير، ص ٩٣.

من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه، وقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، وكيف يكون القرآن هدى وبيّنة وفرقاناً ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون، ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشد الاحتياج! وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وأي جهاد أعظم من بذل الجهد في فهم كتابه! وأي سبيل أهدى إليه من القرآن^(١).

وقد صرح الذهبي في هذه الإطار، حيث قال: «وهو يعني تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن»^(٢).

إنَّ أوَّلَ مَنْ استعمل هذا المنهج والنمط في التفسير هو رسول الله ﷺ، وذلك في تفسيره لبعض الآيات المباركة، حيث سئل عن معنى الآية المباركة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣) فقالوا - أي الصحابة - أيّنا لم يظلم نفسه، فأجابهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)، حيث فسّر ﷺ الظلم في الآية الأولى بمصطلح الشرك في

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١.

(٢) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٣٣.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

(٤) سورة لقمان: ١٣.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، ج ١ ص ١٤.

الآية الثانية.

وقد سار أئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا المنهج بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله لرفع الإبهام عن الآيات المباركة، فقد روى المفيد في إرشاده: أن عمر أتى بامرأة قد ولدت لسته أشهر، فهمم برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١)، ويقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّىَ الرِّضَاعَةَ﴾^(٢)، فإذا أتممت المرأة الرضاعة لستين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر، فحلى عمر سبيل المرأة^(٣).

ومما يؤيد ذلك، ما جاء عن علي عليه السلام في بعض تعبيراته حول هذا المنهج من التفسير يصف فيه القرآن: «كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض»^(٤).

وهذا تصريح واضح منه عليه السلام بأن القرآن الكريم يبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه على بعض، وما هذا إلا عبارة عن تفسير القرآن بآيات أخرى من نفسه. وقد قسم بعض الباحثين منهج تفسير القرآن بالقرآن على نمطين، وهما:

النمط الأول

وهو ما أبهم في موضع وبيّن في موضع آخر، ويكون أحدهما متناسباً مع

(١) سورة الأحقاف: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٣) انظر: الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ١٤، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٦، ص ٤٠.

(٤) شرح نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣. (شرح محمد عبده).

الآخر تناسباً معنوياً أو لفظياً، كما في قوله تعالى: ﴿حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ *﴾^(١)، حيث جاء تبين هذه الليلة المباركة بليلة القدر في سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢)، وجاءت آية أخرى في سورة البقرة لتبين أنها واقعة في شهر رمضان بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٣).

والنتيجة لهذا البيان: أن القرآن الكريم قد نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان. وهذا مثال تفسير الآيات والتي قد وقع بينها تناسباً لفظياً في القرآن الكريم^(٤).

النمط الثاني

هو ما كان فيه البيان غير مرتبط ظاهراً مع عدم وجود تناسب لفظي أو معنوي في موضع الإبهام من الآية الأخرى، سوى إمكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الإبهام. ومثال ذلك آية السرقة، حيث أبهم فيها موضع قطع اليد، فبيّنه الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام أنه من موضع الأشاجع - مفصل أصول الأصابع - مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥).

(١) سورة الدخان: ١-٣.

(٢) سورة القدر: ١.

(٣) سورة البقرة: ١٥٨.

(٤) انظر: معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٥٤٠.

(٥) سورة الجن: ١٨.

(٦) انظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٥٤٢.

وبما أن الكفّ أحد الأعضاء السبعة التي يُسجد عليها لله تعالى، وما كان لله لم يُقطع، فيتحصل أنّه لا موضع للقطع فيها^(١).

تفسير القرآن بالقرآن عند ابن شهر آشوب

اعتنى ابن شهر آشوب عناية كبيرة بهذا الأسلوب، وذلك بحمل المتشابه على المحكم، وهو مبدأ سليم لفهم النصّ القرآنيّ، فالقرآن يفسّر - بعضه بعضاً، وينطق بعضه ببعض. ولهذا نجد أن الصفة الغالبة على منهج المؤلف في تفسير متشابه القرآن هي حشد الشواهد القرآنية لبيان المراد من الآية وتعيين دلالتها.

ونذكر الآن جملة من الشواهد التي تؤكد انتهاجه لهذا النوع من التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن، فمنها:

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾^(٢).

قال ابن شهر آشوب: «والذكر: القرآن؛ لقوله في عقبه: ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥)، واستدل بهذه الآيات بالردّ على بعض الفرق القائلة بقدوم القرآن،

(١) انظر: العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٢.

(٤) سورة الأنبياء: ٥٠.

(٥) سورة الحجر: ٩.

(٦) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٢٤٠.

قائلاً: «والمُنزَل المحفوظ لا يكون إلاّ محدثاً؛ لأنّ القديم يُنزل ولا يحتاج إلى حفظه»^(١).
 وقد ساق ابن شهر آشوب عدّة آيات حول خلق الإنسان حالاً بذلك
 التناقض الذي يتوهمه القارئ للآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى في خلقه آدم:
 ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢)، وفي موضع آخر: ﴿مَنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾^(٣)، وفي موضع:
 ﴿مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٤)، وأيضاً: ﴿مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٥).
 حيث قال: «لا تناقض فيها، لأنّها ترجع إلى أصل واحد، وهو التراب،
 فجعله طيناً ثم صار كالحمأ المسنون، ثمّ بيس فصار كالفخار»^(٦).

وعند تفسيره لكلمة العرش في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٧)،
 فقد عمل على تفسيرها من خلال آيات قرآنية متعدّدة، فقال: «العرش: السرير
 ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٨)، وأصول البناء: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾^(٩)،
 وما يستظل به: ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾^(١٠)، ومنه العريش والبناء: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(١١)،

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة آل عمران: ٥٩.

(٣) سورة الصافات: ١١.

(٤) سورة الحجر: ٢٨، ٣٣.

(٥) سورة الرحمن: ١٤.

(٦) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٦٤.

(٧) سورة طه: ٥.

(٨) سورة النمل: ٢٣.

(٩) سورة الحج: ٤٥.

(١٠) سورة الأنعام: ١٤١.

يَعْرِشُونَ ﴿١﴾، والبسط: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾.

واستفاد الشيخ المازندراني من منهج تفسير القرآن بالقرآن كثيراً لينفي شبهة أو يدحض رأياً فاسداً؛ لأن القرآن أقوى حجة يمتلكها مناظر أو مجادل.

وهذا ما وجدناه واضحاً في كثير من الموارد التي استدللّ بالآيات الكريمة لدحض أقوال الفرق والملل، ومنها رده على المجبرة بقوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ ﴿٤﴾، فقال: «إنّ التفاوت من الكفر، والمعاصي ليس من خلق الله؛ لأنّه تعالى نفى نفيّاً عاماً أن يكون فيها خلقه تفاوت» ﴿٥﴾.

وأورد عدّة آيات قرآنية داعماً بها رأيه في رده على المجبرة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ ﴿٦﴾؛ رداً على مَنْ قال إنّ الكفر من أفعال الله، فردّ دعواهم في هذه الآية، مجيبهم بأنّ الكفر ليس بحسن، ولا فعل متقن، وجاء بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿٧﴾، و﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿٨﴾، فاستدلّ بأقوال الحسن، والبلخي، والجبائي، والزجاج،

(١) سورة النحل: ٦٨.

(٢) سورة هود: ٧.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٤) سورة الملك: ٣.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٢٩.

(٦) سورة السجدة: ٧.

(٧) سورة النمل: ٨٨.

(٨) سورة الأنعام: ٧٣.

والطبري، على معنى هذه الآية: أنه تعالى خلقهما للحق، لا للباطل^(١).

واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾^(٢). قال: إن هذه الآية دالة على بطلان رأي المجبرة القائلين: إن كل باطلٍ وسفهٍ وما يخالف الحكمة من فعل الله، تعالى عن ذلك^(٣).

ومن المناظرات الأخرى ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(٤). فبعدما فسرها البعض بأن المراد به النبي ﷺ يوم جاءه الأعمى عبد الله بن أم مكتوم، ردّهم ابن شهر آشوب قائلاً:

«الآيات ظاهرها لا يدل على أنها خطاب له، بل هو خبر محض، لم يصرح بالمخبر عنه، يدل عليه أنه وصفه بالعبوس، وليس هذا من صفات النبي في قرآن، ولا خبر مع الأعداء المباينين، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين. بل في القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥).

ثم إن الله تعالى نفى عنه ﷺ صفة العبوس في قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٦). وأمره بأن يتصدى للأغنياء، ويتلهى بالفقراء، والعبس في وجوه المؤمنين خلاف ما يوصف به النبي ﷺ؛ لأنه كان متعطفًا،

(١) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٣٠.

(٢) سورة ص: ٢٧.

(٣) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٢٩-٣٠.

(٤) سورة عبس: ١.

(٥) سورة القلم: ٤.

(٦) سورة آل عمران: ١٥٩.

متحنناً، وقد أمره الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(١) ﴿٢﴾.

ويستعين مفسرنا ببعض الآيات القرآنية ليفرق بين كلمتين متشابهتين في اللفظ ومتغايرتين في المعنى، كما في كلمتي (الريح والرياح)، فيردف ابن شهر آشوب عدداً من النصوص القرآنية التي تفيد التمييز بين هذين اللفظين.

يقول ابن شهر آشوب: «قال ابن عباس: لفظ الريح في الشر، ولفظ الرياح في الخير، قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ...﴾^(٣)، ﴿وَمَنْ أَيْنَهٗ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ...﴾^(٤)».

وهنا لم يورد آية قرآنية ليستشهد بها على تفريقه بين المفردتين، إلا أنه أشار إلى المطلب للتفريق بينهما، مستشهداً ومكتفياً بتفريق ابن عباس وإشارته إلى المعنى الثاني من اللفظين وهو لفظ (الرياح) فقد اكتفى بها لتتميم مطلبه. إلا أن هناك إشارات قرآنية فيها دلالات واضحة لمعنى (الريح)، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾^(٦)، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧).

(١) سورة الأنعام: ٥٢.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٤٤-٤٥.

(٣) سورة الأعراف: ٥٧.

(٤) سورة الروم: ٤٦.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٥، ص ١٠٤.

(٦) سورة الذاريات: ٤١.

(٧) سورة الحاقة: ٦.

(٨) سورة الأحقاف: ٢٤.

وغيرها من الآيات.

كما ذكر أنّ بعض الآيات لا يمكن أن تُفسّر على عمومها؛ لوجود مخصّص لها في آيات أخرى، أو لوجود محذور عقليّ يتنافى مع عدل الله تعالى وحكمته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

قال: «لا يجوز أن يكون على عمومه؛ لأننا قد علمنا أنّه - تعالى - لا يشاء أن يُضِلَّ الأنبياء والمؤمنين، ولا يهدي الكافرين، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٢)، وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٥)؛ وتأويل ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾، أي: يخذله بأن يمنعه أطفاه، فأعرض عن الأدلّة، فيكون كالأصم والأعمى»^(٦).

إلى هنا نكتفي من عرض الشواهد والآيات القرآنية التي أوردت لتفسير بعضها البعض، حيث اتّضح لنا أنّ حلّ إشكالية العديد من الآيات المتشابهة جاء عن طريق منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما أكثر فيه ابن شهر آشوب في تعيين مراد الآيات.

(١) سورة الأنعام: ٣٩.

(٢) سورة محمد: ١٧.

(٣) سورة المائدة: ١٦.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٥) سورة البقرة: ٢٦.

(٦) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٩٦-٩٧.

القسم الثاني: تفسير القرآن بالسنة

اعتمد الكثير من المفسرين والباحثين في تفاسيرهم على أسلوب تفسير القرآن بالسنة الشريفة، الذي يعتبر من أقدم المناهج في تفسير القرآن الكريم، وتعتبر الرواية من أهم المصادر المهمة في تفسير القرآن، بل من أقدمها، حيث إن لهذا المنهج ميزة ومكانة مهمة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم التفسيرية.

والمقصود بالسنة عند الإمامية الإثني عشرية: (قول المعصوم، وفعله، وتقريره)، ولا فرق بين كون المعصوم النبي ﷺ أو الأئمة الاثني عشر ﷺ^(١)، وقد استدلل ابن شهر آشوب بحديث الثقلين^(٢)، الذي رواه العديد من علماء الفريقين، فقال بهذا الصدد: «وهما يترجمان عن الكتاب. والمترجم أفضل من الترجمة»^(٣).

وعطفاً على ما سبق، استدلل ابن شهر آشوب على كون العترة حجة؛ ليأخذ برواياتهم بعد ثبوت صحة نسبتها إليهم ﷺ، وقد انتهج في ذلك نهج سائر علماء الإمامية في أخذهم عن الأئمة ﷺ، والذين قيّدوا ما يروى عنهم ﷺ بموافقته للكتاب، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط»^(٤).

(١) انظر: الحكيم، محمد تقي، الأصول العامة للفقهاء المقارن، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) قال رسول الله ﷺ «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها»، الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٩.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ١٨١.

(٤) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٩.

ثم إنَّ المفسرين اختلفوا في حجّية خبر الواحد - كما أشرنا سالفاً في بداية المبحث السابق - فذهب بعضهم إلى القول بحجّيته، وذهب آخرون إلى القول بعدم حجّيته.

إلاّ أنّ المتيقّن من هذه الآراء هو اتّفاقهم على قبول روايات حجّية خبر الواحد في الأحكام الشرعية، وهذا يستلزم أن يكون خبر الواحد حجّةً في تفسير آيات الأحكام الواردة في القرآن الكريم.

ولذا ارتأينا عدم الاكتفاء بالإشارة فقط لهذا المطلب المهمّ، وإنّما نبين هذين الرأيين بشيء من التفصيل ضمن قسمين:

القسم الأوّل: أقوال المثبتين للحجّية

ذهب بعض العلماء إلى ثبوت الحجية لخبر الواحد في الأمور الشرعية الفرعية ذات الأثر العملي وغيرها كالحوادث التاريخية والتكوينية، وروايات التفسير، بعد أن جعلها الشارع علماً تعبدياً، فيكون خبر الواحد فرداً من أفراد العلم، ويترتب عليه ما يترتب على العلم الوجدانيّ.

قال السيّد الخوئي: «إنّ معنى الحجية في الأمانة الناظرة إلى الواقع هو جعلها علماً تعبدياً في حكم الشارع، فيكون الطريق المعترف فرداً من أفراد العلم، ولكنه فرد تعبدّي لا وجداني، فيترتب عليه كما يترتب على القطع من الآثار، فيصحّ الإخبار على طبقه كما يصحّ أن يخبر على طبق العلم الوجداني، ولا يكون من القول بغير علم»^(١).

واستدلّ على كلامه بالسيرة العقلائية، قائلاً:

(١) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٣٩٨.

«ويدلنا على ذلك سيرة العقلاء، فإنهم يعاملون الطريق المعترى معاملة العلم الوجداني من غير فرق بين الآثار، فإن اليد مثلاً أمانة عند العقلاء على مالكية صاحب اليد لما في يده، فهم يرتبون له آثار الملكية، وهم يخبرون عن كونه مالكاً للشيء بلا نكير، ولم يثبت من الشارع ردع لهذه السيرة العقلانية»^(١).

وقد استدرك بعد ذلك واشترط أن يكون خبر الثقة - والطرق المعترية الأخرى - جامعاً لشرائط الحجية، وأن لا يكون مخالفاً لكتاب الله العزيز وللسنة القطعية أو حكم العقل، ولم يفرّق بين الأخبار المتكفلة لبيان حكم شرعي وغير الشرعية^(٢).

وقال الشيخ معرفة موضحاً شرط قبول خبر الواحد: «احتفافه بقرائن الصدق: من وجوده في أصل معتبر، وكون الراوي معروفاً بالصدق والأمانة، وعلى الأقل غير معروف بالكذب والخيانة، وسلامة المتن واستقامته، مما يزيد علماً أو يزيل شكاً، وأن لا يخالف معقولاً أو منقولاً ثابتاً في الدين والشريعة، الأمر الذي إذا توفّر في حديث أو جب الاطمئنان به وإمكان ركون النفس إليه؛ وعليه فلا يضرّه حتى الإرسال في السند إن وجدت سائر شرائط القبول»^(٣).

القسم الثاني: الرافضين لحجية خبر الواحد في التفسير

أشكل الرافضون لحجية خبر الواحد - في باب التفسير وغيره من الأدلة الظنية - أنه لا يترتب على إخباره عن الواقع آثار عملية كما تترتب على القطع، إلا إذا كان مؤدّى الخبر حكماً شرعياً أو موضوعاً لحكم شرعي، وهذا الشرط

(١) المصدر السابق: ص ٣٩٩.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٥٥٦.

مفقود في خبر الواحد الذي يروي عن المعصومين عليهم السلام في التفسير. وبعبارة أخرى: ضرورة كون المخبر به ذا أثر شرعي حتى يشمل له دليل الحجية التعبدية^(١). وقد ذهب إلى هذا الرأي الشيخ الطوسي في (التيبان) قائلاً: «ولا يجوز لأحد أن يقلد أحداً منهم - من المفسرين القدامى والمتأخرين - بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة: إما العقلية، أو النقلية، من إجماع عليه، أو نقل متواتر، عمّن يجب اتباع قوله، ولا يُقبل في ذلك خبر واحد، خاصة إذا كان ممّا طريقه العلم، ومتى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم. وأمّا طريقة الآحاد من الروايات الشاردة والألفاظ النادرة، فإنه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهداً على كتاب الله، وينبغي أن يتوقف فيه»^(٢).

وذهب إلى هذا الرأي السيّد الطباطبائي، فقد صرح في أكثر من موضع بعدم قبوله لحجية خبر الواحد في التفسير، قائلاً: «والذي استقرّ عليه النظر اليوم في المسألة، أنّ الخبر إن كان متواتراً أو محفوفاً بقرنية قطعية فلا ريب في حجيتها، وأمّا غير ذلك فلا حجية فيه إلاّ الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية الفرعية إذا كان الخبر موثوق الصدور بالظنّ النوعي، فإنّ لها حجية؛ وذلك أنّ الحجة الشرعية من الاعتبارات العقلائية، فتتبع وجود أثر شرعيّ في المورد يقبل الجعل والاعتبار الشرعي والقضايا التاريخية والأمور الاعتقادية، لا معنى لجعل الحجية فيها لعدم أثر

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٣٥١.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦-٧.

شرعي، ولا معنى لحكم الشارع بكون غير العلم علماً وتعبير الناس بذلك...»^(١).

أمّا ابن شهر آشوب فقد استشفينا رأيه بالمنع من العمل بخبر الواحد من بعض الآيات والشواهد القرآنية، مستدلاً بالنهي عن العمل بالظنّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾^(٢).

قال ابن شهر آشوب: «يدلّ على فساد العمل بخبر الواحد؛ لأنّ العامل به في الشرع يكون عاملاً على الظنّ من غير علم بصدق الراوي، فوجب أن يكون داخلياً تحت النهي».

واستدلّ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٣) قائلاً: «يدلّ على أنّه لا يجوز العمل بالقياس، وبالخبر الواحد؛ لأنّهما لا يوجبان العلم، وقد نهى الله تعالى أن يتبع الإنسان ما لا يعلمه»^(٤).

وقد استعان بعدّة مواضع في متشابه القرآن بالروايات والأحاديث لتأويل المتشابه منها، وشرحها، أو لتوضيح مفهوم معين.

إلا أنّ اعتماد هذه الروايات والأحاديث، جاء بناءً على تعويله على الأخبار المتواترة المفيدة للعلم والمحفوظة بالقرائن القطعية التي لا تخالف القرآن والعقل.

لهذا نجد كتاب متشابه القرآن والمختلف فيه، يتضمّن عدداً لا بأس به من الروايات والأخبار عن النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت عليهم السلام استعان بها المؤلف

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٣٥١، وج ٩، ص ٢١١.

(٢) سورة البقرة: ١٦٩.

(٣) سورة الإسراء: ٣٦.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ١١١.

في تفسيره وتأويله، فتارةً يستدلّ بالرواية دون أدنى رأي أو قول، وأخرى يسوق الرواية كمؤيد وشاهد لاستدلّاله أو لتعزيد ما يذهب إليه، وقد عول في تفسيره على روايات أهل البيت عليهم السلام كثيراً، كما نقل من أحاديث العامة، خصوصاً في مقام الاحتجاج، وإليك بعض التطبيقات لتفسير القرآن بالسنة عند ابن شهر آشوب تؤيد ما ذكرناه.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾^(١)، قال: «سأل عمرو بن عبيد الباقر عليه السلام فقال: غضب الله، عقابه يا عمرو، ومن ظنّ أنّ الله يُغيّرهُ شيء فقد كفر، إنّما يغضبُ المخلوق الذي يأتيه الشيء ويستنفره ويغيّرهُ عن الحال التي هو عليها إلى غيرها، فمنّ زعم أنّ الله يغيّره الغضب والرضاء ويزول من هذا إلى هذا، فقد وصفه بصفة المخلوق. وسئل الصادق عليه السلام: هل لله رضا وسخط؟ فقال عليه السلام: نعم، ولكنّ ذلك ممّا يوجد من المخلوقين، غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه»^(٢).

وقد استدلّ ابن شهر آشوب على معرفه الله تعالى بجواب النبي صلى الله عليه وآله عن سؤال سألهم بعضهم، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣) قال: «وقيل للنبي صلى الله عليه وآله: بمَ عرفت ربّك؟ قال: بما عرّفني ربّي، قيل: وكيف عرّفك؟ قال: لا تشبهه صورة، ولا يُحسُّ بالحواس، ولا يُقاس بقياس الناس. وقال عليه السلام لآخر: بالنوم مرّة، وباليقظة أخرى، فلو لا مدبّر وصانع يأتي

(١) سورة طه: ٨١.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٣٤١.

(٣) سورة الذاريات: ٢١.

بأحدهما مرة، وبالأخر أخرى، لبقيتُ على صفة واحدة، فلما رأيتُ زوال الصفة الأولى، وحدوث الصفة الأخرى، عرفتُ أنه لأجل مدبر صانع فعله.

وقال عليه السلام لآخر: «بفسخ العزائم، وحلّ العقود»، وقال عليه السلام: اعرفوا الله بالله، أي: بنصب أدلته على نفسه^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال ابن شهر آشوب: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام: أين كان قبل خلق السموات والأرض؟ فقال عليه السلام: أين سؤال عن وكان، وكان الله ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغيّر عما كان.

وسأل نافع المقرئ الباقر عليه السلام: أخبرني متى كان الله؟

فرفع عليه السلام رأسه إليه وقال له: يا نافع، أخبرني متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟

وسأل أمير المؤمنين عليه السلام: متى كان ربك؟

فقال: ثكلتك أمك! متى لم يكن حتى يُقال: متى؟ كان ربي قبل القبل بلا قبل، ويكون بعد البعد بلا بعد، ولا غاية، ولا منتهى لغايته، انقطعت الغيات عنه، فهو منتهى كل غاية^(٢).

واستدل أيضاً بروايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات الأحكام؛ لتعزيد ما يذهب إليه من رأي، وقد برهن على قبول شهادة المسلمين على أنفسهم

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) سورة الحديد: ٣.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٣.

وغيرهم من الأديان بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾^(١). فقال: «يدلّ على أنه تقبل شهادة اليهود على اليهود، وشهادة النصارى على النصارى، وإذا اختلف ملّتهم لم تُقبل؛ لأنّ الله - تعالى - أمر بالتبيين والتثبت في نبأ الفاسق، والكافر فاسق. وقوله ﷺ: لا تُقبل شهادة أهل دين على غير دينهم إلاّ المسلمين، فإنّهم عدول على أنفسهم وعلى غيرهم»^(٢).

كما واعتمد على عدم جواز قتل المسلم بكافر على رواية النبي ﷺ، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٣)، قال: «فيه دليل على أنه لا يُقتل المسلم بالكافر، وقوله ﷺ: لا يُقتل مسلمٌ بكافر، ولا ذو عهدٍ في عهده»^(٤).

وفي تفسيره للآية المباركة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾^(٥)، استند إليها على عدم وجوب الكفّارة على مَنْ وطأ ناسياً في الحج وعدم فساد حجّه، بقوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ، وَالنِّسْيَانُ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٦). وعوّل أيضاً على ما رواه أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتاب (الأشربة) على حرمة الشراب المتّخذ من القمح والشعير، واستدلّ بها في تفسير قوله تعالى:

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٥٥.

(٣) سورة النساء: ١٤١.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٤٧.

(٥) سورة الأحزاب: ٥.

(٦) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٢١٤.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(١).

قال: «إن قوماً من أهل اليمن قالوا: يا رسول الله، إن لنا شراباً نتخذه من القمح والشعير،

فقال: الغبيراء؟ قالوا: نعم، قال: لا تطعموها... قالوا: فإنهم لا يدعونها، فقال ﷺ: من لم يتركها فاضربوا عنقه»^(٢).

كما نقل من حديث العامة في عدة مواضع من تفسيره، سيما في مقام الاحتجاج، منها في تفسير قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٣)، قال: «فسر على الطهر، الذي لا جماع فيه. وروى الشافعي، وأحمد، وأبو يعلى في مسانيدهم، وأبو داود، وابن ماجه في سننهما، والثعلبي في الكشف، والغزالي في الإحياء: أن ابن عمر طلق امرأته ثلاثاً وهي حائض، فأمره النبي أن يراجعها، وأمره إن أراد طلاقها فليطلقها للسنة»^(٤).

وأما في مقام الاحتجاج، فقد أورد ابن شهر آشوب أحاديث كثيرة عن أهل العامة، نكتفي بعرض نموذج منها:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٥)، أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أول من آمن برسول الله ﷺ والسابق إلى الإسلام، وقد أيد هذا

(١) سورة النساء: ٣١.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣١٣-٣١٤.

(٣) سورة الطلاق: ١.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٢٦٢.

(٥) سورة الواقعة: ١٠-١١.

القول من خلال الاستشهاد بأحاديث وروايات العامة، فقال:

«تفسير ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وعطاء، الخراساني، ويوسف القطن، ووكيع، والقاضي، والثعلبي، والواقدي، وتاريخ الطبري، والنسائي و...: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّابِقُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

رووا ذلك عن ابن عباس، وأبي ذر، وسلمان، والمقداد، وعمار، وزيد بن صوحان، و...»^(١).

ومن جملة استدلالاته بروايات النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام ما جاء في بيان معاني القدر والرّد على المجبّرة، استشهاده بآيات قرآنية بين فيها معاني القدر، ثمّ أورد عدّة أحاديث وروايات، قوّى وأعضد فيها برهانه، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٢)، ذكر أن معنى قضاء الله بمعنى: يقدر، مستدلّاً بأقوال الرسول ﷺ قائلاً: «النبي ﷺ يقول تعالى: مَنْ لَمْ يَرْضَ بقضائي، ولم يشكر نعمائي، ولم يصبر على بلائي، فليتخذ ربّاً سوائي. وفي حديث آخر: سيكون في آخر هذه الأمة قوم يعملون بالمعاصي، ثمّ يقولون: هذه من الله قضاءً وقدرًا، فإذا لقيتموهم فأعلموهم أنّي منهم بريء».

واستشهد أيضاً بحديث عن الإمام الصادق عليه السلام حول معنى الآية فقال: «زرارة بن أعين: قال الصادق: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق، سألمهم عمّا عهد إليهم، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم»^(٣).

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ١١٩-٥١٧.

(٢) سورة الأنفال: ٤٢، ٤٤.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢ ص ٢٨٤.

وهناك روايات وأحاديث كثيرة أوردتها ونقلها ابن شهر آشوب في بيانه وتأويله للآيات المتشابهة، نكتفي بهذا المقدار الذي عرضناه؛ ليكون صورة واضحة في معالم منهجه التفسيري.

الجانب العقلي في تفسير متشابه القرآن

إن معرفة الطرق والأساليب التي يتبعها المفسر لبيان المعنى المراد من النص القرآني تُسهم مساهمة فعّالة في إيضاح منهجه المتبع في التفسير واستنطاقه لآيات القرآن الكريم، وإزالة الإبهام والغموض عن الآيات المتشابهة لعامة الناس، وهذا ما جاء في مقدمة مفسرنا بوضوح، معطياً لنا ضابطة عامة وصريحة لمنهجه في تأويل الآيات المتشابهة أو التي يكتنفها غموض، مبيناً ذلك من خلال تعريفه للمتشابه في القرآن وكيفية التخلص منه، فقال: «ويتخلص منها إما بموضوع اللغة، أو بمقتضى العقل، أو بموجب الشرع»^(١).

وقد بينا في البحوث السابقة منهجية مفسرنا واعتماده على الجانب الأثري في التفسير، موضحاً طريقتة في تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، أما في هذا المبحث فسوف نسلط الضوء على منهج مفسرنا واعتماده على الجانب العقلي في تعامله مع النص القرآني؛ لمعرفة معانيه باعتبار أن العقل أحد الأدوات التي يعتمد عليها المفسر في استنطاق النص القرآني وإزالة الغموض، وهذا ما أشار إليه المصنّف في مقدمة كتابه بشكل واضح وجليّ.

وبناءً على ما سبق، نرى تأكيداً من قبل (ابن شهر آشوب) على أهمية التفكير،

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٨.

وإعمال النظر في فهم النصوص القرآنية واستعمال العقل في معرفة آيات الله وأحكامه، وقد تضمن تفسير (متشابه القرآن والمختلف فيه) العديد من الإشارات التي تنم عن المنهجية العقلية المتبعة عند ابن شهر آشوب في تصديده لتفسير وتأويل آيات الكتاب العزيز، والتي نلخصها بما يلي:

١. موقفه من النظر والاستدلال في آيات الله

تبني ابن شهر آشوب موقفاً مؤيداً لاستخدام العقل والنظر، وقد استدل بالقرآن على صحة رأيه القائل بضرورة النظر وإعمال العقل، فاستدل بعدة شواهد قرآنية تحث على النظر في طريق معرفة الله، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾^(١)، ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾^(٢)، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤)، وغيرها من الآيات التي تأمر الإنسان بالتدبر والنظر لمعرفة الخالق عن طريق التفكير وإعمال العقل لإثبات وجوده وإتقانه بخلق العالم.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْمُرِيرُوا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ﴾^(٥).

قال ابن شهر آشوب: «قال ذلك لقوم، كانوا غير مقرّين بما أخبروا به من شأن الأمم قبلهم؛ لأنّ الكثير منهم كان مقرّاً بذلك، ومن كان منكرّاً منهم فإنّه

(١) سورة الغاشية: ١٧.

(٢) سورة القصص: ٧٢، سورة الزخرف: ٥١. سورة الذاريات: ٢١.

(٣) سورة يونس: ٣. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٤) سورة الرعد: ٤.

(٥) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٨٥.

(٦) سورة الأنعام: ٦.

دُعِي - بهذه الآية - إلى النظر والتدبر؛ ليعرف بذلك ما عرفه غيره^(١).

٢. رفضه للفكرة القائلة بأن المعارف ضرورية

استدل ابن شهر آشوب بأسلوب عقلي متين رداً على القائلين بأن المعارف ضرورية، وفند مزاعمهم، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^(٢).

فقال في معرض تفسيره لهذه الآية: «يدل على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورية؛ لأنه تعالى أخبر أنهم في شكهم يترددون، وهذه صفة الشاك المتحير في دينه، الذي ليس على بصيرة من أمره»^(٣).

هذا، وقد رد ابن شهر آشوب على القائلين بأن المعارف ضرورية عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٤). فقال: «في الآية دلالة على أن المعارف ليست ضرورية، لما حسبوا غير ذلك؛ لأن الضروريات لا شك فيها»^(٥).
واستدل أيضاً على أن معرفة الله مكتسبة وليست ضرورية، بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٦) قال: «دالة على أن معرفه الله باكتساب؛ لأنها لو كانت ضرورية لما أمر بها»^(٧).

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٨٨.

(٢) سورة التوبة: ٤٥.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٨٢.

(٤) سورة الكهف: ١٠٤.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٨٤.

(٦) سورة محمد: ١٩.

(٧) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٨٤.

٣. رفضه التقليد في أصول الدين

رفض ابن شهر آشوب التقليد في الأمور الاعتقادية كسائر أتباع المذهب الإمامي القائل بعدم صحّة الاعتقاد المبنيّ على التقليد والاتكال على تقليد المرّين أو الآباء.

قال الشيخ المظفر: «بل يجب على الإنسان بحسب الفطرة العقلية المؤيّدة بالنصوص القرآنية أن يفحص ويتأمل وينظر ويتدبّر في أصول اعتقاداته المسماة بأصول الدين التي أهمّها: التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد، ومَن قلّد آباءه أو نحوهم في اعتقاد هذه الأصول فقد ارتكب شططاً وزاغ عن الصراط المستقيم، ولا يكون معذوراً أبداً»^(١).

وقال الشيخ الطوسي في هذا الصدد:

«والتقليد قبيح بموجب العقل؛ لأنّه لو كان جائزاً للزم فيه أن يكون الحق في الشيء ونقيضه، فيكون عابد الوثن يقلّد أسلافه، وكذلك يقلّد أسلافه اليهودي والنصرانيّ والمجوسيّ، وكلّ فريق يعتقد أنّ الآخر على خطأ وضلال، وهذا باطل بلا خلاف»^(٢).

وجرى على هذا المنهج الشيخ ابن شهر آشوب، وذلك في تفسير قوله تعالى:

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولُو كَان ءَأَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا

(١) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص ٣١-٣٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٩٢.

دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾. فأردف قائلاً: «إِنَّ اللَّهَ ذَمَّهُمْ عَلَى تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ، وَوَبَّخَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَوْ جاز التَّقْلِيدُ لَمْ يَتَوَجَّهْ إِلَيْهِمْ تَوْبِيخٌ وَلَا لَوْمٌ» ﴿٢﴾. واستشهد أيضاً على صحّة الاستدلال في أصول الدين بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٣﴾، فقال:

«هذه الآية تدلّ على أربعة أشياء: أحدها: على بطلان التقليد، وصحّة الاستدلال في أصول الدين؛ لأنّه حثّ ودعا إلى التدبّر، وذلك لا يكون إلا بالفكر والنظر. والثاني: يدلّ على فساد مذهب الجبرية والحشوية: إنّ القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ لأنّه - تعالى - حثّ على تدبّره، ليعملوا به» ﴿٤﴾.

٤. موقفه من عقائد الإمامية وانتصاره لها

استطاع ابن شهر آشوب أن يدعم مذهبه الإمامي بكلّ ما أوتي من قوّة وقدرة علمية ومنهج عقليّ رصين، مستفيداً من آيات الكتاب العزيز لبيان صواب وجهات النظر التي يؤمن بها الإمامية في التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، وكلّ ما يتّصل بها من فروع ومسائل كالتقية وعصمة النبي والإمام والمتعة، وكذلك مسألة خلق القرآن وغيرها، وقد دافع ابن شهر آشوب دفاعاً متمسماً بالحماس والقناعة الثابتة، وردّ كلّ الإشكالات والأقوال التي كانت تُثار حول تلك المسائل، فأعطى كلّ موضوع من موضوعات العقائد لدى

(١) سورة البقرة: ١٧٠-١٧١.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٩٣.

(٣) سورة النساء: ٨٢.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٢٦٦-٢٦٧.

الإمامية ما يستحقّه من الحديث، وكانت النزعة العقلية بارزة إلى حدّ كبير في كلّ ما تحدّث به.

ففي مسألة وحدانية الله، أكّد ابن شهر آشوب هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٣١﴾. فقال:

«معنى ذلك أنّه لو صحّ إلهان أو آلهة لصحّ - بينهما - التنازع، فكان يؤدّي ذلك إذا أراد أحدهما فعلاً، وأراد الآخر ضده، إما أن يقع مرادهما، فيؤدّي إلى اجتماع الضدّين، أو لا يقع مرادهما، فينتقض كونهما قادرين. أو يقع مراد أحدهما، فيؤدّي إلى كون الآخر غير قادر، وكل ذلك فاسد»^(٣١).

وعلى هذا، فإنّ الله تعالى واحد في الإلهية والأزلية، لا يشبهه شيء، ولا يجوز أن يباثله شيء، وإنّه فرد في المعبودية لا ثاني له فيها على الوجوه كلّها والأسباب، وعلى هذا إجماع أهل التوحيد إلاّ من شدّ من أهل التشبيه، فإنهم أطلقوا ألفاظه وخالفوا في معناه^(٣٢).

خلق القرآن

يعتقد الإمامية بفكرة خلق القرآن وحدوثه، وهم بذلك يقصدون الألفاظ والحروف المقروءة التي تضمّنها كتاب الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ، وإلى هذا المعنى أشار السيّد الطباطبائي بقوله:

(١) سورة الأنبياء: ٢١-٢٢.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) انظر: المفيد، محمد بن النعمان، أوائل المقالات، ص ٥١.

«إن أُريد به هذه الآيات التي نتلوها بما أنّها كلام دالّ على معانٍ ذهنية نظير سائر الكلام ليس بحسب الحقيقة لا حادثاً ولا قديماً، نعم، هو متّصف بالحدوث، بحدوث الأصوات التي هي معنونة بعنوان الكلام والقرآن، وإن أُريد به ما في علم الله من معانيها الحقّة كان كعلمه تعالى بكلّ شيء حق قديماً بقدمه، فالقرآن قديم، أي: علمه تعالى به قديم»^(١).

وقد ذهب ابن شهر آشوب إلى هذا الرأي كغيره من علماء الإمامية، ودافع عنها مستدلاً عليها بعدّة من النصوص القرآنية، منها:

تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾^(٢). والذكر: هو القرآن، قوله في عقبه ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥). والمترل المحفوظ لا يكون إلاّ محدثاً؛ لأنّ القديم لا يُنزل، ولا يحتاج إلى حفظه^(٦).

ونجده في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(٧) يقول:

«فيه دليل على أنّ القرآن غير الله، وأنّ الله هو المحدث له، والقادر عليه؛ لأنّ ما كان بعضه جزءاً من بعض، فهو غير الله لا محالة.

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٥٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٥٠.

(٤) سورة الحجر: ٩.

(٥) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٢٤٠.

(٦) سورة البقرة: ١٠٦.

وفيه دليل على أنّ الله قادر عليه، وما كان داخلاً تحت القدرة فهو فعل، والفعل لا يكون إلاّ محدثاً، وأنّه لو كان قديماً لما صحّ وجود النسخ فيه؛ لأنّه إذا كان الجميع حاصلًا فيما لم يزل، فليس بعرضه بأن يكون ناسخاً والآخر منسوخاً بأولى من العكس»^(١).

العدل

وهو الأصل الثاني من أصول الدين عند الشيعة الإمامية الذين يعتقدون: «إنّ من صفاته تعالى الثبوتية الكمالية أنّه عادل غير ظالم، فلا يجوز في قضائه ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازي العاصين، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقّون، وإنّه سبحانه لا يترك الحسن عند المزاحمة ولا يفعل القبيح... وبذلك نحكم أنّه منزّه عن الظلم وفعل ما هو قبيح»^(٢).

وقد تعرّض ابن شهر آشوب إلى جملة من المسائل التي تتصل بالعدل، وطرح رأيه فيها، وناقش آراء من يختلف معهم، فكتب مقدّمة طويلة ينقض فيها مذهب الجبر ويبطله، مستدلاً بجملة من الآيات القرآنية، فنّد فيها مزاعمهم وآراءهم الباطلة^(٣).

وهنا نتعرّض لبعض المسائل التي طرحها ابن شهر آشوب ونقضه على المجبّرة في مسألة نفى الظلم عن الله تعالى، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤): «ردّ على المجبّرة؛ لأنّه لو أراد ظلم بعضهم لبعض، لكان

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص ٤٠ وما بعدها.

(٣) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٢٣-٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٨.

قد أراد ظلمهم، وكذلك لو أراد ظلم الإنسان لغيره، لجاز أن يريد أن يظلمه هو؛ لأنه لا يفعل ما لا يُريده»^(١).

أمّا بالنسبة إلى مسألة أفعال العباد، فقد اختلفت المدارس الإسلامية في آرائها حول مفهوم حرية الإنسان وإرادته، فذهب بعض إلى الرأي القائل بأنه مجبور ومسيّر، وأخرى قالت بأن الإنسان مفوض إليه فعله، فهو يفعل ما يحلو له كما لو لم تكن هناك إرادة إلهية تتصرّف في هذا الوجود.

وهنا تصدّى الأئمة عليهم السلام لتلك الآراء الفاسدة حينما جاء موقف الإمامية على لسان الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث قال: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين»^(٢).

وهذا دليل واضح على أن مدرسة الإمامية تمثل الخطّ الاعتدالي والوسطي بين المدارس الإسلامية الأخرى؛ وذلك لاعتمادهم على المرجعية العلمية المتمثلة برسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وقد دافع ابن شهر آشوب عن الرأي الذي تبنته المدرسة الإمامية في هذا المجال، وطرح رأيه في أكثر من موقف، كما ناقش المجبّرة كثيراً في هذا الباب، مفنّداً آراءهم، ومستدلاً بعشرات الآيات القرآنية.

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾^(٣):

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الهداية، ص ١٨، الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي، ج ١، ص ١٦١، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٩٧.

(٣) سورة الرعد: ١٦.

«هذه الآية وردت حجة على الكفار، ولو كان المراد ما قالت المجبرة، لكان فيها حجة على الله؛ لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله، فلا يلحقهم اللوم، بل يكون لهم أن يقولوا: إنك خلقتنا فينا ذلك، فلم توبخنا بفعلك»^(١)؟

وقد تبين في هذه المسألة أن العبد مخير في أفعاله وليس مجبراً، ويستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الآخرة، وأن الله تعالى منزّه أن يضاف إليه شرّ وظلم وفعل؛ لأنه تعالى لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلاً.

النبوة

وهي الأصل الثالث من أصول الدين عند الشيعة الإمامية، وعقيدتهم فيها هي:

«إن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربّانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتركيتهم من درن مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير لتبلغ الإنسانية كما لها اللائق بها، وترفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارين... كما وإن الله تعالى لم يجعل للناس حقّ تعيين النبيّ أو ترشيحه أو انتخابه، وليس لهم الخيرة في ذلك، بل أمر كل ذلك بيده تعالى، وليس لهم أن يتحكّموا فيمن يرسله هادياً ومبشراً ونذيراً، ولا أن يتحكّموا فيما جاء به من أحكامٍ وسُننٍ وشريعة»^(٢).

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٢) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص ٤٨.

ويعتقد الإمامية: «أن قاعدة اللطف توجب أن يبعث الخالق اللطيف بعبادة رسله هداية البشر وأداء الرسالة الإصلاحية، وليكونوا سفراء الله وخلفاءه»^(١). وقد خالفوا بذلك الأشاعرة القائلين بأن انبعث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة^(٢). كما ويعتقد الإمامية بوجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام، ويستدلون على وجوبها بقولهم: إن جميع الأنبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها وما يستخفّ فاعله من الصغائر كلّها، وأمّا ما كان من صغير لا يستخفّ فاعله فجائز وقوعه منهم وعلى غير تعمد وممتنع منهم بعدها على كلّ حال^(٣).

ويذهب الإمامية إلى أكثر من ذلك، حيث يعتقدون بعصمة الأنبياء حتى قبل بعثتهم، وإلى هذا المعنى أشار السيّد المرتضى مبيناً وجه الخلاف بين الإمامية وغيرهم من المذاهب الإسلامية، فيقول:

«اختلف الناس في الأنبياء عليهم السلام، فقالت الشيعة الإمامية: لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان أو صغيراً، لا قبل النبوة ولا بعدها، ويقولون في الأئمة مثل ذلك، وجوز أصحاب الحديث والحشوية على الأنبياء الكبائر قبل النبوة، ومنهم من جوزها كذلك في حال النبوة بشرط الاستمرار دون الإعلان، ومنهم من جوزها على الأحوال كلّها، ومنعت المعتزلة من وقوع الكبائر والصغائر المستخفّة من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وفي حالها، وجوزت في الحاليين

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٢.

(٣) انظر: المفيد، محمد بن النعمان، أوائل المقالات، ص ٦٢.

وقوع ما لا يستخفّ من الصغائر»^(١).

وعلى غرار موقف الإمامية، أثبت ابن شهر آشوب في (متشابه القرآن) عصمة الأنبياء جميعاً دون استثناء، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾^(٢) يقول: «هذا ليس يقتضي وقوع معصية، ولا غفران عقاب، بل القصد التعظيم والملاطفة في الخطاب، كما تقول: رأيت - رحمك الله -.

وقد بدأ بالعفو قبل العتاب «لم أذنت لهم»: ظاهره الاستفهام، والمراد التقرير، ولا يحمل على العتاب؛ لأننا نقول لغيرنا: لم فعلت كذا؟ في حال استفهام أو تقرير»^(٣).
وبنفس هذه الروح دافع عن عصمة آدم عليه السلام وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾^(٤) فقال:

«المعصية: مخالفة الأمر، والأمر من الله - تعالى - يقع بين الواجب والمندوب، يُقال: أمرت فلاناً بكذا، وكذا من الخير فعصاني، سواءً كان ما أمر به واجباً أو مندوباً، وترك النفل غير قبيح»^(٥).

وظلّ ابن شهر آشوب مواظباً على هذا النهج في دفاعه عن بقيّة الأنبياء، معتقداً بعصمتهم عن الذنب والخطأ، مؤوّلاً الآيات المتشابهة التي توهم أذهان الناس على خلاف عصمة الأنبياء، ومزيلاً بذلك الغموض والالتباس عنها.

(١) المرتضى، علي بن الحسين، تنزيه الأنبياء، ص ١٥ و ١٦.

(٢) سورة التوبة: ٤٢.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٢١.

(٤) سورة طه: ١٢١.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٣٤٤.



الإمامة

وهي الأصل الرابع من أصول الدين عند الشيعة الإمامية، الذين قالوا إنّ الإيذان لا يتم إلاّ بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمرّيين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر في التوحيد والنبوة، وإثما كالنبوة لطف من الله تعالى، ويعتقدون أيضاً أنّ الإمام كالنبيّ يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن^(١)، والدليل الذي اقتضى - عصمة الأنبياء هو نفسه يقتضي الاعتقاد بعصمة الأئمة^(٢).

واتفقت الإمامية على أنّ الإمامة لا تثبت إلاّ بوجود النصّ من الله تعالى على لسان النبيّ ﷺ للإمام، أو بنصّ من النبيّ أو بنصّ من الإمام السابق على اللاحق، والإمامة عندهم ليست بالاختيار والانتخاب، وهذا المعنى أشار إليه الشيخ المفيد حين قال:

«واتفقت الإمامية على أنّ الإمامة لا تثبت مع عدم المعجز لصاحبها إلاّ بالنصّ على عينه والتوقيف، وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة والمتسمّون بأصحاب الحديث على خلاف ذلك، وأجازوا الإمامة في من لا معجز له ولا نصّ عليه ولا توقيف»^(٣).

ويرى الإماميون أنّ الإمامة منصب إلهي سنّه الله للبشر كما سنّ النبوة، وأنّ الفرق بين المنصبين هو: أنّ الإمام لا يُوحى إليه كالنبي، وإنّما يتلقّى الأحكام منه

(١) انظر: المظفر، محمد رضا، عقائد للإمامية، ص ٦٥ وما بعدها.

(٢) انظر: المفيد، محمد بن النعمان، أوائل المقالات، ص ٦٥.

(٣) المصدر السابق.

مع تسديد إلهي، فالنبي مبلّغ عن الله والإمام مبلّغ عن النبي^(١).

وقد اشترط الإمامية شروطاً يجب توفّرها في الإمام، فجاء على لسان الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قائلاً: «الإمام عالم لا يجهل، راع لا ينكل... نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزّ وجلّ، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله»^(٢).

وبناءً على ما سبق تبين لنا أنّ وظيفة الإمام - عند الإمامية - غير مختصة بالمصالح الدنيوية فقط، بل تشمل أيضاً على المصالح الدينية التي هي الهدف الرئيس من نصب الإمام.

وقد استدللّ ابن شهر آشوب على عصمة الإمام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(٣)، فبعد كلام طويل حول الآية قال: «وقد استدلت أصحابنا بهذه الآية: أنّ الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح؛ لأنّ الله - تعالى - نفى أن ينال عهده - الذي هو الإمامة - ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم. إمّا لنفسه أو لغيره»^(٤).

وفي موضع آخر من استدلاله على عصمة الإمام بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٥)، أردف قائلاً:

(١) انظر: كاشف الغطاء، محمد حسين، اصل الشيعة وأصولها، ص ٢١٢.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٩٩.

(٣) سورة البقرة: ١٢٤.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٩٩.

(٥) سورة آل عمران: ٢٤.

«استدلّ الإمامية بها على أنّ الإمام ينبغي أن يكون معصوماً، ولا يكون - في باطنه - كافراً ولا فاسقاً؛ لأنّه لا يجوز أن يعطي الله الملك - من النبوة والإمامة - للفاسق؛ لأنّه تمليك الأمر العظيم، من السياسة والتدبير؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١) وهذه أعظم العهود»^(٢).

هذا، وقد أكد ابن شهر آشوب على إمامة وولاية الأئمة وفي أكثر من موضع من متشابه القرآن، فهو عندما يفسر قوله تعالى: ﴿إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣)، يقول:

«أجمعت الأمة أنّها نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام لما تصدّق بخاتمته وهو راعٍ. ولا خلاف بين المفسرين في ذلك، وأكدته إجماع أهل البيت عليهم السلام فثبتت ولايته على وجه التخصيص، ونفي معناها عن غيره، وإنّما عنى بـ(وليكم) القائم بأموركم، ومن يلزمكم طاعته، وفرض الطاعة - بعد النبي - لا يكون إلا للإمام»^(٤).

وهكذا يبقى ابن شهر آشوب وفيّاً لمعتقده، يدافع عنه بحرارة، متمسكاً ومعتزداً بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية وغيرها.

الجانب اللغوي في تفسير متشابه القرآن

تبني ابن شهر آشوب هذا المنهج باستخدام اللغة كأداة أساسية في فهم النصّ

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٩٧.

(٣) سورة المائدة: ٥٥.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ١٠٨.

القرآنيّ وتأويل الآيات المتشابهة، وقد سبقه في ذلك الكثير من العلماء في اعتمادهم هذا المنهج، ومن أشهر أصحاب هذا الاتجاه الكسائيّ (ت ١٨٢)، والفراء (ت ٢٠٧)، ومن ثمّ جاء أبو عبيدة^(١)، وغيرهم ممّن كتبوا في معاني القرآن، وقد فتح هذا الاتجاه باباً واسعة في مجال الدراسات اللغوية، فألفت الكتب حول غريب القرآن ومشكل القرآن وغيرها^(٢). وقد أكثر أصحاب هذا الاتجاه من الاستشهاد بالشعر العربيّ على الآيات القرآنية، ولعلّ أوّل من حفّز على انتهاج هذا السبيل هو ابن عباس حينما قال: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب»^(٣).

كما حاول مفسّرنا التوفيق بين تأويل الآيات المتشابهة وما دار على ألسنة العرب من استعمالات لغوية ونصوص شعرية، فاعتمد أيضاً على آراء جملة من علماء اللّغة دون أن يسهم في إبداء رأيه في المسائل التي ذكروها، حيث رجع ابن شهر آشوب إلى آراء العلماء البارزين في هذا المجال، كالخليل الفراهيديّ، والكسائيّ، وقطرب، والفراء، وأبي عبيدة، والأخفش، وثعلب، والزجاج، وغيرهم.

(١) هو معمر بن المنثى البصريّ المعروف بأبي عبيد النحويّ، من أئمة العلم بالأدب واللّغة. ولد في البصرة سنة (١١٠) وتوفي فيها سنة (٢٠٩). قال الجاحظ بحقه: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. له نحو ٢٠٠ مؤلف، منها: مجاز القرآن، ومآثر العرب، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، وغيرها. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٤، ص ١٩٨. وكحالة، عمر، معجم المؤلّفين، ج ١٢، ص ٣٠٩.

(٢) للمزيد من الاطلاع انظر: معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٩٢٥ - ٩٢٩.

(٣) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٤.

هذا، وقد أفرد مفسرنا باباً في متشابه القرآن يتعلّق بها جاء عن طريق النحو من التأويل والتفسير للآيات المتشابهة^(١)، فخصّص باباً آخر من كتابه المتعلّق بالنوادر البلاغية واللغوية، والتي استعان بها مفسرنا في رفع المتشابه من الآيات^(٢).

ونحن هنا نذكر بعض التطبيقات والأمثلة التي كان قد أوردها ابن شهر آشوب في تأويل الآيات المتشابهة ورفع الغموض عنها، ولتبيين معاني الحروف والمفردات القرآنية.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾^(٣)، قال:

«ظاهره يفيد الشك الذي لا يجوز على الله تعالى. الجواب: إنّ (أو) للإباحة، يُقال: جالس الحسن أو ابن سيرين والفقهاء أو المحدثين.

(أو) دخلت للتفصيل، ويكون معناها: إنّ قلوبهم قست، فمنها ما هو كالحجارة في القسوة، ومنها ما هو أشدّ قسوة، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾^(٤). وفي معناه: قال بعضهم: كونوا هوداً وهم اليهود، وقال بعضهم: أو نصارى وهم النصارى. ومثله: ﴿وَكَم مِّن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٥).

(١) راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٩٧-٥٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٧-١٠٨.

(٣) سورة البقرة: ٧٤.

(٤) سورة البقرة: ١٣٥.

(٥) سورة الأعراف: ٤.

(أو) دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب، وإن كان الله عالماً بذلك غير شك فيه. والمعنى: أتمها كأحد هذين، لا يخرجان عنها، كقولهم: ما أُطعمك إلاّ حلواً أو حامضاً؛ فيبهمون على المخاطب بما يعلمون أنّه لا فائدة في تفصيله.

(أو) بمعنى (بل)، نحو قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(١).
قالوا: كانوا مائة ألفٍ وبضعة وأربعين ألفاً. وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٢).
قال الشاعر:

فو الله لا أدري أسلمى تقوّلت أم البدرُ أم كلُّ إلى حبيبُ
(أو) بمعنى الواو، قوله: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾^(٣).
معناه: وبيوت آبائكم، وقوله: ﴿وَلَا يَدِينُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾^(٤) الآية. قال جرير:
نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر^(٥)

وفي تفسيره لمعنى بكاء السماء والأرض في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٦) قال: «أي: أهلها، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾»^(٧).

(١) سورة الصافات: ١٤٧.

(٢) سورة النجم: ٩.

(٣) سورة النور: ٦١.

(٤) سورة النور: ٣١.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٧٧-٧٩.

(٦) سورة الدخان: ٢٩.

(٧) سورة محمد: ٤.

ويقال: السخاء حاتم، وإن الله أراد المبالغ في وصف القوم بسقوط المنزلة، كما يُقال: كسفت الشمس لفقده، وأظلم القمر، وبكاه الليل والنهار، والسماء والأرض.
قال جرير:

الشمس طالعة ليست بكاسفةٍ تبكى عليك نجوم الليل والقمر
ويكون الإخبار عن فقد الانتصار، والأخذ بالثأر. والعرب كانت لا تبكي
على القتل إلا بعد الأخذ بثأره»^(١).

كما واستشهد بأقوال العرب في تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَيَخْرُجُ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٢)، إذ يقول: «هذا كما تقول
العرب: هذا الكلام يفلق الصخر، ويهدُّ الجبال، ويستنزل الوعول، قال الشاعر:
ولو أن ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يُسمع لهنَّ هبوبٌ»^(٣).

وقد فرّق مفسرنا بين كلمتين (يُضِلُّ) و(يَضِلُّ) في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ
عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾^(٤). فقال: «من فتح الياء، أراد: أن الله
لا يهدي من يُضِلُّه، أو قلت: إن من أضله الله لا يهتدي. ومن ضم الياء، أراد: أن
من حكم الله بضلاله، وسماه ضالاً، لا يقدر أحد أن يجعله هادياً، أو قلت: إن من
أضله الله لا يقدر أحد على هدايته إليها، ولا يقدر هو على أن يهتدي إليها»^(٥).

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) سورة مريم: ٩٠.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٥٠.

(٤) سورة النحل: ٣٧.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٦٣.

وفي موضع آخر بين كلمة (ضَلَّ) في تفسير قوله تعالى: ﴿أَذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^(٢). قال:

«اعلم أن (ضَلَّ) لازم، يُقال: ضَلَّ الشيء أي: ضاع، وهلك، وقوله تعالى: ﴿ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣). وبمعنى العذاب: ﴿إِنَّ الْمُبْجِرِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾^(٤). وبمعنى إبطال العمل: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾^(٥).

ومتعدٍ، نحو: ضَلَّ فلانُ الطريق، أي: لم يهتد له، قوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٦). وقد جاء: (أَضَلَّ) على وجوه:

أَضَلَّهُ فلان: أهلكه، قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٧).

وبمعنى: أضلَّ الرجل دابته، أي: ضلَّت عنه، قال الشاعر:

هبوني إمرأاً منكم أضلَّ بعيرهُ له ذمّةٌ إنَّ الذمامَ كبيرُ

فالألف للفرق بين ما لا يفارق مكانه، وبين ما يفارق»^(٨).

ويذكر مفسرنا آراء العلماء من دون أن يبدي رأيه في الموضوع، وهذا كثيراً

(١) سورة السجدة: ١٠.

(٢) سورة الجاثية: ٢٣.

(٣) سورة الكهف: ١٠٤.

(٤) سورة القمر: ٤٧.

(٥) سورة محمد: ٤.

(٦) سورة النحل: ١٢٥.

(٧) سورة محمد: ٩.

(٨) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٧٢-٧٣.

ما نجده في متشابه القرآن، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ذُشَاءً لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾^(١)، قال: «قال الحسن وقتادة: لتركناهم عمياً يترددون.

والطمس: محو الشيء حتى يذهب أثره، والطمس على العين: إذهاب الشق الذي بين الجفنين، والطمس على المال: إذهابه. والطمس على الكتاب إحماؤه. وطمس الريح الأثر.

وهذا بيان من الله - تعالى - أنهم في قبضته، وهو قادر على ما يريد بهم، فليحذروا تنكيله بهم. ثم قال زيادة في التحذير: ﴿وَلَوْ ذُشَاءً لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ﴾^(٢).

المسخ: قلب الصورة إلى خلقه ومشوهة، كما مسخ قوم قردة وخنازير، والمسخ نهاية التنكيل.

وقال الحسن، وقتادة: لمسخناهم على مقعدهم، أو على أرجلهم. ولو فعلنا بهم ذلك، لما استطاعوا مضياً^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَفَوْا... إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(٤).

قال ابن شهر آشوب: «قال الفراء: الظاهر الاستثناء، والتأييد بمدّة السموات والأرض، إلا أن المراد بـ«إلا» الزيادة، فكأنه قال: ﴿خَلِدِينَ فِيهَا

(١) سورة يس: ٦٦.

(٢) سورة يس: ٦٧.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) سورة هود: ١٠٦، ١٠٧.

مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿١﴾ من الزيادة لهم على هذا المقدار.
كقول القائل: إِنَّ عَلَيْكَ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَّا أَلْفِينَ الَّذِينَ أَقْرَضْتُكُمَا وَقْتُ كَذَا...

وقال الزجاج: إِنَّ الاستثناء وقع على أَنْ لَهُمْ زَفِيرًا وَشَهيقًا إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
من أنواع العذاب التي لم تذكر... وقالوا: «إلا» بمعنى: الواو. والتأويل: خالدین
فيها ما دامت السموات والأرض» وما شاء ربك من الزيادة.

قال الشاعر:

وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

ولا يتعلّق إلا بالخلود؛ لأنّ الاستثناء الأوّل متّصل بقوله ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ
وَسَهيقٌ﴾ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ من أجناس العذاب»^(١).

نقتصر بهذا القدر اليسير من الأمثلة القرآنية التي أوضحنا فيها منهج ابن
شهر آشوب اللّغويّ في رفع المتشابه من الآيات القرآنية الشريفة، حيث وجدنا
كثرة استعانه باللّغة لرفع الغموض وإزالة الالتباس من أذهان الناس، الناشئ
من عدم فهم وإدراك الكثير من المسائل اللّغوية الواردة في القرآن الكريم والتي
زُعم أنّها متناقضة ومتعارضة.

المتشابه في القرآن: أسبابه وأقسامه

أوضحنا في بداية الفصل الثاني معنى كلمة المتشابه في القرآن، وأنها جاءت بمعنى
الالتباس تارة، والمماثلة تارة أخرى، وذكرنا أيضاً أنّ ابن شهر آشوب قسّم الآيات
المتشابهة إلى خمسة أقسام في مقدّمة الكتاب.

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٤٣٠ - ٤٣٣.

وقبل أن نشرع في بيان وتوضيح أقسام المتشابه وأسبابه، لابد أن نذكر أولاً أقسام المعاني القرآنية التي يقع المحكم والمتشابه في ضمنها، وقد ذكرها ابن شهر آشوب في باب النوادر وهو الباب الأخير من كتابه، وأهمها:

١- ما اختص الله العلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الشَّمْسِ...﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢).

فلا يمكن لأحد من المخلوقين معرفة حقيقة الروح، ولا وقت الساعة، ويوم القيامة؛ لأن علمها محصور بالله تعالى.

٢- ما لا يمكن معرفته إلا بالأثر الصحيح، وهو مجمل لا ينبي ظاهره عن المراد به تفصيلاً، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣)، ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٤)، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(٥). وغيرها من الآيات، فإن تفصيل أحكام الصلاة من ركوع وسجود وعدد، وتفصيل مناسك الحج وشروطه ومقادير الزكاة، لا يمكن استخراجها إلا بالأثر الصحيح الذي بيته النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام.

(١) سورة لقمان: ٣٤.

(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) سورة الأنعام: ١٤١.

(٥) سورة آل عمران: ٩٧.

٣- ما يكون ظاهره مطابقاً لمعناه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١)،
﴿وَلَا تَقُولُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾^(٢). ولا نحتاج هنا إلى قرينة أو دلالة
لمعرفة المراد، وإنما ظاهره أنبأنا عن معناه.

٤- ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين، كلاهما يمكن أن يكون مراداً فيجوز
كلاهما، وإذا دلّ الدليل على فساد أحدهما، حمل على المعنى الآخر، وهو ما يُسمّى
بـ(المتشابه)، مثل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣)، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾^(٤) إِلَى رِبَّهَا
نَاطِرَةٌ^(٥).

وعدّ المتخصّصون في علوم القرآن ومعانيه أسباباً كثيرة وأقساماً متعدّدة^(٦)
للتشابه، ذكرها ابن شهر آشوب أيضاً في طيّات كتابه.

إنّ من الضروري جداً تسليط الضوء على تنوع أسباب التشابه لمعرفة منهج
المفسّر في التفسير وكيفية معالجته لتلك الأسباب، وهنا نذكر أهمّ الأسباب التي
تؤدّي إلى التشابه، فتتطرق إلى أقسام منها:

١. دلالة اللفظ على معنيين أو أكثر

من أسباب التشابه هو ما كان اللفظ فيه مشتركاً بين معنيين أو أكثر، وإذا دلّ

(١) سورة الإخلاص: ١.

(٢) سورة الإسراء: ٣٣.

(٣) سورة طه: ٥.

(٤) سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

(٥) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٥، ص ٨٩-٩٠.

(٦) انظر: الراغب، الحسين بن محمد، مفردات الفاظ القرآن، ص ٢٥٤.

الدليل على فساد أحدهما، حمل على المعنى الآخر، نحو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾^(١)، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ^(٢)، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣)، وغيرها من الآيات.

فلو فسرت هذه الآيات وحملنا الألفاظ على المعاني الظاهرة، لوقعنا في مخالفة صريح الآيات المحكمة الدالة على تنزيه الخالق عن التشبيه والتجسيم، وأنه ليس كمثل شيء ولا تدركه الأبصار.

فيلزم على المفسر أن يؤول تلك الآيات المتشابهة استناداً إلى الأدلة العقلية واللغوية التي تصرف اللفظ إلى معناه الصحيح، وقد دأب ابن شهر آشوب على تأويل هذا القسم من المتشابهة في موارد عديدة من تفسيره.

ويلحق بهذا القسم من المتشابهة كل الألفاظ التي لا يُراد الظاهر منها، وإنما تؤول وتُصرف إلى معنى مجازي، الذي لا يفهم إلا ببيان وجهه، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ إِخْيَرٌ﴾^(٤)، قال ابن آشوب:

«جعل (المس) - على الله - على وجه المجاز؛ لأنّ الخير والشرّ - عرضان، لا تصحّ - عليهما - المماسّة. وأراد - تعالى - بذلك الترغيب في عبادته، وترك عبادة سواه؛ لأنّه المالك للنفع والضرر دون غيره، وأنّه القادر عليهما»^(٥).

(١) سورة طه: ٥.

(٢) سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

(٣) سورة الفتح: ١٠.

(٤) سورة الأنعام: ١٧.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٢٣٧.

وأما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١).

قال ابن شهر آشوب: «الشكور في صفات الله مجاز؛ لأنه هو المظهر للإنعام عليه، والله - تعالى - لا تَلْحَقُهُ المنافع والمضار، فيكون معناه: أن يعامل المطيع في حسن الجزاء معاملة الشاكر»^(٢).

٢. التقديم والتأخير

قد يقع التشابه في الآيات القرآنية بسبب نظم الكلام ووقوعه بغير موضعه، فيقدم المؤخر، ويؤخر المقدم، وهذا ما نلاحظه في كلام العرب في البيان، وقد أوضح ابن شهر آشوب هذا المطلب من خلال أمثلة كثيرة من القرآن الكريم، وذلك في الباب الأخير من متشابه القرآن؛ حيث تعرّض إلى بيان وجوه القلب قائلاً:

«القلب على وجوه، منها: تقديم المؤخر وتأخير المقدم، تقول: أكرمني، وأكرمته زيد، أي: أكرمني زيداً وأكرمته ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا﴾^(٣) تقديره: على عبده كتاباً قَيِّمًا ولم يجعل له عوجاً. ﴿آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾^(٤) تقديره: آتوني قطراً أفرغه عليه... وتقديم الخبر على الاسم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥). وتقديم المفعول على

(١) سورة التغابن: ١٧.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٣٣٠.

(٣) سورة الكهف: ١، ٢.

(٤) سورة الكهف: ٩٦.

(٥) سورة الروم: ٤٧.

الفاعل: زيداً ضربهُ عمرو، وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(١). وقلب الفعل نحو: أدخلتُ الخاتمَ في إصبعي، والخفَّ في رجلي، وعرضتُ الدابةَ على الماء، وقوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾^(٢). وإنما العصبَةُ أولوا القُوَّةِ تنوؤُ بها^(٣).

٣. العموم والخصوص

بعض الموارد يقع التشابه فيها من جهة العموم والخصوص، وقد يكون اللفظ عامّاً ومعناه خاصّاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤). قال ابن شهر آشوب:

«والمزكي في الركوع كان عليّاً، وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ...﴾^(٥) والقائل: نعيم بن سعود...، وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٦)، ولا يجوز قطع كل سارقٍ نحو سارق حبة من حرز، أو سارق دينارٍ من غير حرز^(٧)».

وقد يأتي اللفظ خاصّاً ويُراد به العموم، كسائر الخطابات القرآنية المتوجهة للنبي ﷺ، إلا أنه يُراد بها أمته، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ

(١) سورة يس: ٣٩.

(٢) سورة القصص: ٧٦.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٥، ص ٣٦.

(٤) سورة المائدة: ٥٥.

(٥) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٦) سورة المائدة: ٣٨.

(٧) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٥، ص ٧١.

هَتُوْلَاءَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ ﴿١﴾.

قال ابن شهر آشوب: «نهى الله - تعالى - نبيه، والمراد به أمته؛ لأنهم لم يكونوا في شك من عبادة الكفار المقدم ذكرهم»^(١).

٤. الناسخ والمنسوخ

نقل ابن شهر آشوب تعريف ابن عباس ورأيه في المحكم والمتشابه بقوله: «المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ»^(٢). إلا أن هذا الرأي لم ينطبق على معنى المحكم والمتشابه، وإنما دالاً على بعض مصاديق المحكم والمتشابه. وقد خصص ابن شهر آشوب باباً مستقلاً، مبيناً بذلك الآيات الناسخة والمنسوخة ومستعرضاً لها؛ بناءً على أن الناسخ والمنسوخ أحد أفراد المحكم والمتشابه ومصاديقها^(٣).

فجاء في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٤). قال ابن شهر آشوب: «قال ابن زيد وقتادة: كان للمسلمين التوجه بوجوههم في الصلاة حيث شاءوا، ثم نسخ بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾»^(٥).

(١) سورة هود: ١٠٩.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٥٣.

(٣) المصدر نفسه: ج ١، ص ٤٦.

(٤) للمزيد من الاطلاع راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٦٥ - ٣٩٣.

(٥) سورة البقرة: ١١٥.

(٦) سورة البقرة: ١٤٤ وغيرها.

(٧) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٦٧.

ويستعرض في هذا الباب العديد من الآيات الناسخة والمنسوخة؛ وذلك لضرورة معرفة حكم الآيات المنسوخة ولتبيين ناسخها، كما في قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾^(١).

قال: «نسختها: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ...﴾»^(٢).

ولم يقتصر ابن شهر آشوب على نقل آراء المفسرين في هذا المجال، وإنَّما كان يرجح بعض الآراء، وأخرى يصححها مع إبداء رأيه في المسألة، ففي قوله تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣). قال:

«قال ابن عباس: نسخ بقوله «قاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يقبلوا الجزية». وقال قتادة: نسختها آية السيف. والصحيح: أنها ليست منسوخة، وإنَّما أمر الله بالقول الحسن في الدعاء إليه، الاحتجاج عليه، كما قال لبيبة: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ...﴾»^(٤)، وقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾»^(٥). وليس الأمر بالقتال ناسخاً؛ لأنَّ كلَّ واحد منها ثابت في موضعه»^(٦).

٥. توهم الشبهة

وقد يقع التشابه لتوهم وجود شبهة في ظاهر الآيات القرآنية، ويمكن أن

(١) سورة المجادلة: ١٢.

(٢) سورة المجادلة: ١٣.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٧٥.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة النحل: ١٢٥.

(٦) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٧) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٦٥.

تُتصوّر هذه الشبهات من جهة مخالفة قواعد اللّغة والإعراب، كالاختلاف في التذكير والتأنيث، والواحد والجمع، وغيرها ممّا جرى على وفق أساليب العرب في التعبير والبيان.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾^(٢)، فجاء الوصف في الأوّل مؤنثاً وفي الثاني مذكراً والموصوف واحد، قال ابن شهر آشوب:

«التأنيث والتذكير راجعان إلى النخل، وهو يذكّر ويؤنث أو إلى الشجر وهو يذكّر ويؤنث، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾، وفي موضع: ﴿لَا كُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ﴾ فمالتون منها الباطون»^(٣).

وقال تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾^(٤)، وفي موضع: ﴿بَلَدَةٌ مَيِّتَةٌ﴾^(٥)، قال ابن شهر آشوب: «العرب تارة تخرج النعت على ظاهر الكلام، وتارة على باطن معناه، يعني: المكان، نظيره: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنشَقَّتْ﴾^(٦)، وفي موضع: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾^(٧)،

(١) سورة الحاقة: ٧.

(٢) سورة القمر: ٢٠.

(٣) سورة الواقعة: ٥٢-٥٣.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٩٧.

(٥) سورة سبأ: ١٥.

(٦) سورة الزخرف: ١١. سورة الفرقان: ٤٩.

(٧) سورة الانشقاق: ١.

(٨) سورة المزمل: ١٨.

أي: السقف»^(١).

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾^(٢)، ولم يقل: ادخلن، قال ابن شهر آشوب: «لأنه لما ذكر الله أفعالاً مثل أفعال العاقلين وهو النداء والقول ونحوهما، جعل صفتها كصفة العاقلين، كقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَوْلَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِتِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾^(٧)، وقوله: ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٨)»^(٩).

اعتماد ابن شهر آشوب على الإجماع في تفسير أي القرآن

ذهب بعض من علماء الإمامية إلى حجية الإجماع، واشترطوا أن يكون رأي المعصوم داخلاً فيه، وبعبارة أخرى: إن الإجماع يكون حجة، وذلك باتفاق كل من يستكشف من اتفاقهم على قول المعصوم، كثروا أم قلوا، إذا كان العلم

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٩٨.

(٢) سورة النمل: ١٨.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٣.

(٤) سورة الأنعام: ٧٦.

(٥) سورة البقرة: ٦٥.

(٦) سورة فصلت: ١١.

(٧) سورة يوسف: ٤.

(٨) سورة الشعراء: ٤.

(٩) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٤١٠.

باتفاقهم يستلزم العلم بقول المعصوم^(١).
 وقد صرح المحقق الحليّ بذلك قائلاً: «أما الإجماع: فعندنا هو حجة بانضمام المعصوم، فلو خلا المائة من فقهاءنا عن قوله لما كان حجة»^(٢).
 وقال السيّد المرتضى: «إذا كان علة كون الإجماع حجة كون الإمام فيهم، فكل جماعة كثرت أو قلت كان قول الإمام في أقوالها فإجماعها حجة»^(٣).
 وقد عوّل الشيخ المازندراني في بعض موارد تفسيره على الإجماع، ورأيه في هذه المسألة أنّ الإجماع لا بدّ أن يكون قول المعصوم داخلاً فيه، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّأَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٤)، قال: «ظاهر الآية يقتضي اتباع المعصومين؛ لأنهم مؤمنون على الحقيقة ظاهراً وباطناً، ولا يشمل ذلك على كلّ من أظهر الإسلام؛ لأنّه لا يوصف بذلك إلا مجازاً، والحقيقي من فعل الإيمان، فصحّ أنّ الإجماع لا بدّ أن يكون قول المعصوم داخلاً فيه»^(٥).
 واعتمد على بعض الموارد على إجماع الإمامية، وعنده أن إجماعهم حجة؛ لأنّ المعصومين عليهم السلام من جملتهم.
 ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَسْتَمِعُوا لِلنِّسَاءِ﴾^(٦)، قال: «كناية عن الجماع لا غير،

(١) انظر: المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ج ٣، ص ١١١.

(٢) المحقق الحليّ، جعفر بن الحسن، المعتبر في شرح المختصر، ج ١، ص ٣١.

(٣) المرتضى، علي بن الحسين، الذريعة إلى أصول الشريعة، ج ٢، ص ٦٣٠.

(٤) سورة النساء: ١١٥.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ١١٨.

(٦) سورة المائدة: ٦.

بدليل إجماع الفرقة، ثم إن الطهارة قد ثبتت، ونقضها بما يدعونه محتاج إلى دليل^(١).
 واستدل أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢)، حيث قال: «آية،
 وهو مذهب الشافعي وسفيان الثوري، ودليلنا إجماع الفرقة، وذكر أبو بكر بن
 المنذر في كتابه عن أم سلمة: أن النبي ﷺ قرأها في الصلاة فعدّها آية...»^(٣).
 ونقل المؤلف في أماكن من تفسيره إجماع أهل التفسير والمحدثين، وهذا يدل
 على سعة اطلاعه وكثرة تتبعه، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤) قال: «أجمع المفسرون
 والمحدثون أنّها نزلت في أهل البيت ﷺ، وقال عكرمة والكلبي: نزلت في النساء،
 أمّا عكرمة فهو خارجي، وأمّا الكلبي فهو كذاب»^(٥).
 وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
 الصَّلَاةِ...﴾^(٦): «أجمع أهل التفسير على أن المراد به: إذا قمتم من النوم...»^(٧).

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ١٣١.

(٢) سورة الفاتحة: ١.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ١٧٠.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٦) سورة المائدة: ٦.

(٧) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ١٣١.

الفصل الثالث

مصادر كتاب متشابه القرآن
وحضوره في كتب الشيعة

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول (المصادر الرئيسة للكتاب)
- المبحث الثاني (حضور تفسير متشابه القرآن في كتب الشيعة الإمامية)

المبحث الأول

المصادر الرئيسية للكتاب

إن أهمية البحث في مصادر الكتاب دعت إلى استحداث فصل خاص به، ونظراً لكونه يعدّ من أهم كتب المتشابهات في التراث الشيعي، فقد دعت الحاجة للبحث واستكشاف مصادره، ومدى حضوره في تراثنا الشيعي.

ويعدّ كتاب (متشابه القرآن) من أهم الكتب التي تناولت الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، فهو حافل بالعديد من الآراء والمصادر التي اعتمدها ابن شهر آشوب ورجع في تفسيره إليها، فاستدلّ بآرائها حيناً، ونقدها حيناً آخر، وأضاف إليها إضافات حيناً ثالثاً، كما صرح بذلك في مقدّمة كتاب (متشابه القرآن)^(١).

ولا شك أنّ معرفة هذه المصادر توضّح لنا أيضاً جلياً ثقافة الشيخ ابن شهر آشوب واتجاهاته الفكرية، ومدى تأثيره بالمفسّرين الذين وجّه نظرتهم إليهم، وقد استدلّ في كتابه بأقوال جملة من المفسّرين والمتكلّمين والفقهاء واللّغويين الذين تقدّموا عليه، كابن عباس، وأبي الضحاك، والسدي، والطبري، والزرّاج، وابن دريد، وابن جريح، والنقاش، وابن جبير، وقتادة، وسفيان بن عيينة، والثوري، وعطاء، والكلبي، ووكيع، والواحدي، والثعلبي، والحسن البصري، وأبي عبيد، والرماني، والجبائي، وأبي الهذيل، وأبي علي الفارسي، والنظام، والبلخي،

(١) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٦.

والشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، وغيرهم من العلماء، ولا أقصد هنا في هذا المبحث أن أذكر مصادر ابن شهر آشوب في تفسيره على وجه الاستقصاء والحصص، لكن أتعرض لأهم هذه المصادر وأتعرّف على موقف ابن شهر آشوب بالنسبة لها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

قد ذكر ابن شهر آشوب مصادر متعدّدة اعتمد عليها في كتابه متشابه القرآن، ذكر قسماً منها صريحاً، واكتفى في القسم الآخر بذكر المؤلف من دون اسم الكتاب، وقد تمّ إحصاء أسماء الكتب والمصادر الواردة في كتاب متشابه القرآن، نذكرها على قسمين:

القسم الأول: المصادر المذكورة بأسمائها في متشابه القرآن

أ- كتب التفسير

- ١- تفسير الثعالبي، ج ٢، ص: ٢٢١. ج ٣، ص: ١٥٠، ٢٤٦، ٢٦٥، ٣٢٠. ج ٤، ص: ٢٠٨، ٢٣٩، ٢٦٢، ٣١١.
- ٢- تفسير الثمالي، ج ٣، ص ٣٢٠.
- ٣- تفسير القزويني، ج ٢، ص ٢٢١.
- ب- كتب علوم القرآن ومعانيه
 - ١- أسباب نزول القرآن، ج ١، ص ٤٩.
 - ٢- أسباب النزول، للواحدي، ج ٣، ص: ١١٨، ١٣٩.
 - ٣- غريب القرآن، لمحمد بن عزيز السجستاني، ج ٣، ص ١٦٤.
 - ٤- معاني القرآن، للزجاج، ج ٣، ص ١١٨.

٥- نزول القرآن، لأبي بكر الشيرازي، ج ٣، ص ١٥١.

ج - كتب التاريخ

١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج ٢، ص ٢٢١. ج ٣، ص: ١٥٠، ١٥٨، ١٦٢، ٢٢٥، ٢٦٥. ج ٤، ص ١٤٥.

٢- تاريخ البلاذري، ج ٣، ص: ١٤٤، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٢.

٣- تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٢١. ج ٣، ص: ١١٨، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٣.

٤- التاريخ، لمجاهد، ج ٣، ص ١٦١.

٥- التاريخين، ج ٣، ص ٢٨٠.

٦- صفوة التاريخ، ج ٣، ص ١٦٤.

د- كتب الصحاح والحديث

١- جامع الترمذي، ج ٣، ص: ١١٨، ١٤٧، ١٦٥. ج ٤، ص ٢٠٧،

٢- السنن، لأبي داود السجستاني، ج ٣، ص ٢٢٤. ج ٤، ص: ١٨٣،

٢٦٢،

٣- سنن ابن ماجه، ج ٣، ص ١٤٥. ج ٤، ص: ١٦٧، ١٨٣، ٢٦٢،

٤- صحيح البخاري، ج ٣، ص: ١٤٨، ٢٢٤، ٢٦٤، ٣٢٠. ج ٤، ص:

٢٣٨، ١٤٥.

٥- صحيح مسلم، ج ٣، ص: ١٤٨، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٦٤، ٣٢٠. ج ٤، ص:

٢٣٨، ١٤٥.

- ٦- الصحيحين، ج ٣، ص: ٢٨٠، ٣٥٧
- ٧- غريب الحديث (الفاائق) للزنجشري، ج ٤، ص: ١٥٣، ١٩٨
- ٨- غريب الحديث، لأبي عبيد، ج ٤، ص: ١٥٢، ص ١٦٦، ص ١٩٨
- ٩- مسند أحمد حنبل، ج ٣، ص: ١١٨، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٥، ٢١٥، ٢٥٠. ج ٤، ص: ١٤٦، ١٥٦، ١٦٦، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٦٢
- ١٠- مسند أبي حنيفة، ج ٤، ص: ١٨٣، ٢٠٨
- ١١- مسند أبي رافع، ج ٣، ص: ١٤٥
- ١٢- مسند الشافعي، ج ٤، ص: ١٩٨، ٢٠٧، ٢٦٢
- ١٣- مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٣، ص: ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٤، ٢١٥، ٣٢٠. ج ٤، ص: ١٦٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٦٢
- ١٤- مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج ٣، ص: ٢٢٨
- ١٥- فرودس الأخبار، للديلمى، ج ٣، ص: ١١٩، ١٦١، ٣٢٠
- ١٦- الموطأ، لمالك بن أنس، ج ٤، ص: ١٦٦، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٠٨
- ١٧- الأربعون، للخوارزمي، ج ٣، ص: ١١٨، ١٥١، ١٥٩
- ١٨- الأمالي، لليث بن مردويه، ج ٣، ص ١٤٧
- ١٩- الأمالي، لليث بن سعد، ج ٣، ص: ٢٢٥
- ٢٠- دلائل النبوة، للبيهقي، ج ٣، ص: ٢٦٥
- ٢١- معرفة أصول الحديث، لأبي البيع، ج ٣، ص: ١١٨، ١٥٠.

هـ - كتب عامّة

- ١- الإبانة، للعكبري، ج ٣، ص: ١١٨، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٥، ٢١٥،
- ٢- الأربعون، للخطيب البغدادي، ج ٣، ص: ١٤٧، ١٦٦،
- ٣- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ج ٣، ص: ١٣٩، ٣٢٠. ج ٤، ص: ٢٦٢،
- ٤- اعتقاد أهل السنة، للإسنهي، ج ٣، ص ١٦٤،
- ٥- تنبيه المذكورين، ج ٣، ص ١٤٩.
- ٦- الجمهور، لابن دريد، ج ٤، ص ٣٠٠،
- ٧- الخصائص، للنطنزي، ج ٣، ص: ١١٨، ١٥١، ١٦٤،
- ٨- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ج ٣، ص: ١١٨، ١٦٠، ٢٢٥. ج ٤، ص ١٥٦،
- ٩- الخلاف، للساجي، ج ٤، ص ٢٢٥،
- ١٠- رجال الصوفية، ج ١، ص: ٣٥٩.
- ١١- الرسالة، للسمعاني، ج ٣، ص: ١٤٧، ١٥٠.
- ١٢- شرف النبي، ج ٣، ص ١١٩،
- ١٣- ضياء الأولياء، للإقليشي، ج ٣، ص: ١١٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٤، ١٦٥.
- ١٤- كتاب الطير، لأحمد بن محمد، ج ٣، ص ١٧٢،

- ١٥- الفضائل، للسمعاني، ج ٣، ص: ١٥٩، ١٦٥،
- ١٦- الفضائل، لأبي الصباح الزعفراني، ج ٣، ص، ١٥٠
- ١٧- الفضائل، للعكبري، ج ٣، ص، ١١٨
- ١٨- فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، ج ٣، ص: ١٦١، ١٦٥، ٢٤٦،
- ١٩- الفرائض الكبيرة، للفضل بن شاذان، ج ٤، ص، ٣٣٤
- ٢٠- الفوائد، لابن صخر، ج ٣، ص، ١٥٢
- ٢١- قوت القلوب، ج ٤، ص، ١٨٤
- ٢٢- المثالب، لابن شهر آشوب، ج ٢، ص، ٤٧٢
- ٢٣- المجموع، للدارمي، ج ٣، ص، ١٦١
- ٢٤- محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ج ٣، ص ١٦٤.
- ٢٥- المسترشد، لابن جرير الطبري، ج ٣، ص، ٩٨
- ٢٦- المعارف، لأبي قتيبة، ج ٣، ص، ١١٨
- ٢٧- منقبة المطهرين، لأبي نعيم الأصفهاني، ج ٣، ص، ٢٣١
- ٢٨- الولاية للطبري، ج ٣، ص ١٦١.
- إذن، مجموع ما ذكر من المصادر وما اعتمد عليها ابن شهر آشوب هي (٦٣) كتاباً ومصدراً متنوعاً في مختلف ميادين الثقافة الإسلامية، فمنها كتب تفسيرية، وأخرى تاريخية، وثالثة كلامية، وغيرها من المصادر التي استشهد بها الشيخ ابن شهر آشوب المساهمة بشكل جليّ في تكوين ثقافة المؤلف وتوجهاته الفكرية والعقيدية. وبالنسبة إلى المصادر المذكورة في (متشابه القرآن) من دون الإشارة إلى

عنوانها فهي عديدة، اعتمدها الشيخ المازندراني في مواضع متفرقة من كتابه، وقد تأثر بها تأثراً ملحوظاً، وأفاد منها أعظم فائدة، مكتفياً بذكر مؤلفها فقط، وهذا وجدناه بكثرة في كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه)، فمنها: مصدر تفسيري، وآخر لغوي، وثالثة حديثي، ورابعة تاريخي.

وربما كان سبب اعتماده على هكذا مصادر جاء بناءً على ما صرح به في مقدّمته للكتاب، وعمله على تحريره لأقوال المفسرين والمتكلمين الذين سبقوه في تلك الفترة، وقد عكف على تقرير تلك الآراء والاستشهاد بها لتأويل الآيات المتشابهة لدعم آرائه وأدلتته، في مقام إثبات وجهات نظره في تأويل الآيات المتشابهة.

القسم الثاني: المصادر المذكورة باسماء مؤلفيها في متشابه القرآن

أ- كتب التفسير

اعتمد ابن شهر آشوب على بعض التفاسير المهمة، والتي استقى منها الكثير من معلوماته التفسيرية في كتابة كتابه (متشابه القرآن والمختلف فيه)، وأهمها:

١ - تفسير ابن عباس

إنّ من أهم الآراء التفسيرية التي أخذ عنها ابن شهر آشوب هو ما جاء عن طريق ابن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد روي عنه في (متشابه القرآن) قرابة (١٣٩) مورداً، جاءت موزعة حسب أجزاءه الخمسة، نذكرها كالآتي:

١- ذكر في الجزء الأول (٣٩) مورداً.

٢- ورد في الجزء الثاني (٢٢) مورداً.



٣- جاء في الجزء الثالث (٥٠) مورداً.

٤- ورد في الجزء الرابع (٢٧) مورداً.

٥- ذكر في الجزء الخامس مورداً واحداً فقط.

ومّا يمكن أن نلاحظه، هو أنّ ابن شهر آشوب قد استفاد من آراء ابن عباس ورواياته التفسيرية في مواطن تأويل وتفسير الآيات المتشابهة، أو التي ادّعي وقوع الاختلاف فيها؛ وذلك لقربه من الرسول ﷺ، وباعتباره من علماء الصحابة الكبار الذين لا يصدر عن الناس إلا عن مصدر الوحي الأمين، ولا ينطقون إلا عن لسانه الناطق بالحقّ المبين، ولذا قلّمنا نجد أحداً من المفسّرين التابعين وغيرهم قد تجاوز أقوال ابن عباس وآرائه في التفسير.

وهناك تفاسير منسوبة إلى ابن عباس وردت بطرقٍ مختلفة، هي:

الطريق الأوّل: ما رواه مجاهد بن جبر، وقد اعتمد روايته أرباب الحديث، وهو موضع قبول الأئمّة.

الطريق الثاني: تفسير ابن عباس عن الصحابة لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفى سنة (٣٢٢هـ)، وقد ذكر كُتُباً متعلّقة بابن عباس ومسنده عنه، منها كتاب التنزيل عنه، وكتاب التفسير عنه، وكتاب تفسيره عن الصحابة^(١).

الطريق الثالث: تفسير ابن عباس الموسوم بـ (تنوير المقابس)، من تأليف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، صاحب القاموس، وقد طبع عدّة مرّات، وفي هامش الدرّ المنثور.

(١) انظر: معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٢٥٥.

إلا أنّ بعض المعاصرين المتخصّصين في الدراسات القرآنية رفضوا نسبة هذا التفسير إلى ابن عباس؛ لجهالة رجال سنده، فاعتبر هذا التفسير مجهولاً السند ومجهول بالنسبة إلى مؤلّف خاص، بالإضافة إلى أنّه لا يشابه التفسير المأثور الذي جمعه الطبري وغيره عن ابن عباس^(١).

ويظهر ممّا تقدّم أنّ ابن شهر آشوب قد اعتمد على روايات الطبري المقبولة لدى العلماء والمفسّرين الواردة في كتبهم التفسيرية.

وجدير بالذكر أنّ ما وري عن ابن عباس في ثنايا (متشابه القرآن) بصورة غير مباشرة - أي: بالواسطة - جاء بالاعتماد على أقوال السابقين من المفسّرين، أمثال: محمد بن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، والطوسي في تفسيره (التيان)، والطبرسي في تفسيره (مجمع البيان).

٢- تفسير مجاهد بن جبر المكيّ

وهو المقرئ، المفسّر، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، وُلد سنة إحدى وعشرين، روى عن ابن عباس، وقرأ عليه القرآن ثلاث عرضات، وكان يقف عند كلّ آية يسأله فيمّ نزلت؟ وكيف كانت؟ توفّي بمكة سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة عن عمر يناهز ثلاث وثمانين سنة^(٢). وقد نقل عنه الشيخ ابن شهر آشوب كثيراً من النصوص المتعلقة بالتفسير، وقد ذكرت أقواله متناثرة في متشابه القرآن.

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(٢) انظر: الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسّرين، ج ٣، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.



فاستشهد في الجزء الأوّل (١٩) مرّة.

وفي الجزء الثاني (١٢) مرّة.

وفي الثالث (٢١) مرّة.

وفي الرابع (٧) مرّات.

ولمجاهد بن جبر تفسير يتألف من مجلدين، جاء تحت عنوان (تفسير مجاهد)، وطبع في مجمع البحوث الإسلامية بباكستان.

٣- تفسير الحسن البصريّ

وهو الحسن بن أبي الحسن يسار البصريّ، توفّي سنة (١١٠ هـ)، روى عن عمران بن حصين وأبي موسى، وابن عباس، وجندب، وكان إماماً كبير الشأن، رفيع الذكر، رأساً في العلم والعمل. له تفسير رواه عن جماعة، وكتاب يردّ فيه على القدريّة^(١)، وقد نقل عنه ابن شهر آشوب كثيراً في (متشابه القرآن).

٤- تفسير قتادة

وهو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمر بن ربيعة بن عمر بن الحارث بن سدوس البصريّ، الأكمه، وكان تابعياً ومفسّراً وعالمًا كبيراً، توفّي سنة (١١٧ هـ)^(٢)، وقد روى (تفسيره) عنه شيبان بن عبد الرحمن التميميّ مولاهم النحويّ أبو المعاوية البصريّ.

حدث عن عبد الله بن سرجيس، ومعاذ، وخلق. وعنه مسعر، وابن أبي

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ج ٤، ص ٨٥.

عروبة، وشيبان، وشعبة، ومعمّر، وأبان بن يزيد، وأبو عوانة، وحماد بن أبي سلمة، وغيرهم.

وقال أحمد بن حنبل بحقه: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء. ووصفه بالفقه والحفظ، وأُتِبَ في ذكره، وقال: «كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه»^(١).

٥ - تفسير السّدي

وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السّدي، أبو محمد الكوفيّ الأعور صاحب (التفسير) روى عن ابن عباس، وأنس بن مالك، والثوري، والحسن بن صالح، وحفص بن أبي حفص، وسعد بن عبيدة وغيرهم، مات سنة (١٢٧هـ)^(٢).

روى عنه: أسباط بن نصر الهمداني، وإسرائيل بن يونس، وإسماعيل بن أبي خالد، والحسن بن يزيد الكوفي، وسفيان الثوري، وغيرهم^(٣). ويعتبر تفسيره المرجع الأوفر للتفسير النقلي (الأثريّ) بالنسبة إلى الطبري في تفسيره، والدّر المنثور، وغيرهما، ومن أمّهات كتب التفسير.

وقد استقى ابن شهر آشوب في كتابه متشابه القرآن آراءً عديدةً عن السّدي، شاهدناها متناثرة في ثنايا كتابه، فاستفاد منها في دعم آرائه في تأويل الآيات

(١) الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، ج ٣، ص ٣٩-٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ج ١، ص ١١٠-١١١.

(٣) انظر: المزي، جمال الدين، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٣، ص ١٣٢.

وتفسيرها، باعتبارها مصدراً مهماً للتفسير الأثري؛ حيث اعتمد على تفسير الطبري والسيوطي في الاستشهاد بتلك الروايات^(١).

«وله تفسير حافل وصفه جلال الدين السيوطي بأنه من أحسن التفاسير، وهذا التفسير قد جمع شوارده الدكتور محمد عطا يوسف، وطبعه في مصر»^(٢).

٦- تفسير الضحّاك بن مزاحم الهلالي

وهو أبو القاسم الخراساني المعروف بالضحّاك، المتوفّي (١٠٥هـ)، لقي سعيد بن جبير بالريّ فأخذ عنه التفسير^(٣)، وله نظرات وآراء قيّمة في التفسير بما يجعله على درجة عالية من العلم بمعاني القرآن. وللضحّاك تفسيران صغير وكبير، كانا مرجعاً لسائر التفاسير، ومنها أخذ الطبري والطبرسي وغيرهما من سائر المفسّرين^(٤).

وروي تفسيره عنه عبيد الله بن سليمان، وقال عنه سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحّاك.

٧- تفسير أبي عليّ الجبّائيّ

هو أبو عليّ محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبّائيّ المعتزلي، توفي سنة (٣٠٣هـ)، رأس المعتزلة وشيخهم ومَن انتهت إليه رئاستهم.

(١) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه: ج ١، ص: ١٠٤، ١٠٨، ١٧١، ٢٢٢، ٢٨٩، ٣٤٠، ٣٥٤،

٤١٣، ٤١٤، ٤٤٨، ٣٩٤، ٣٨٨، ٣٨٧، ٣٣٨، ٢٧٨، ٢٤١، ١٤٠، ص: ٢،

(٢) معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٣٨٨.

(٣) انظر: الداودي، محمد بن عليّ، طبقات المفسّرين، ج ١، ص ٢٠٥.

(٤) انظر: معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٣٨٦.

وقد أخذ عنه ابنه أبو هاشم، والشيخ أبو الحسن الأشعري، له مقالات وتصانيف، منها: (التفسير) في عشر مجلدات، صنّفه على أصول مذهب الاعتزال، وله كتاب تحت عنوان: (متشابه القرآن). وللجبائي ردٌّ على أبي الحسن الخياط، والصالحى، والجاحظ، والنظام، وغيرهم من المعتزلة ممن خالفهم.

وقد أفاد عنه الشيخ الطوسي كثيراً في تفسيره (التبيان)، وكذلك الشيخ أبو علي الطبرسي في مجمع البيان، وذكر الطوسي في مقدّمة تفسيره: إن المتكلمين - ومنهم الجبائي - قد أسرفوا القول في الكلام عند تفسير الآيات بما لا ينبغي^(١).

وقد أخذ عنه الشيخ المازندراني الكثير من آرائه الكلامية، وذلك عند تفسيره وتأويله للآيات القرآنية، فكانت تلك الآراء مصدر اعتماد لابن شهر آشوب، حيث وردت متناثرة في أبواب كتابه المختلفة، وهذا يدلنا على مدى قبوله لتلك الأقوال والاستشهاد بها عند التعرّض لمختلف الآيات المتشابهة.

وجاءت تلك الأقوال موزّعة على أربعة أجزاء، فكان عددها الكلّي (٨٥) مورداً، نذكرها مفصّلاً:

جاء في الجزء الأول (٢١) مورداً.

ورد في الجزء الثاني (٢٧) مورداً.

ذكر في الجزء الثالث (٢٤) مورداً.

ورد في الجزء الرابع (١٣) مورداً^(٢).

(١) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣٠. وأيضاً: الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، ج ٢، ص ١٥٩.

(٢) للمزيد من الاطلاع، راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٦، ٥٧، ٨٨، ١٠٢،

١٠٥، ١٠٩، ج ٢، ص ٢٨، ٣٩، ٦١، ١٠١، ١٤٦، ١٩٢، ج ٣، ص ٢٥، ٣١، ٤١، ٥٤، ٨٨،



٨- تفسير البلخي

هو عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي الحنفي، توفي سنة (٣١٩هـ)، صاحب التصانيف في علم الكلام ومن متكلمي المعتزلة البغداديين، وله كتب ومقالات، منها: (التفسير الكبير) للقرآن العظيم، وكتاب (الغرر والنوادر)، وكتاب (النهاية في الأصلح) وغيرها.

وقد أخذ منه كلُّ من السيّد المرتضى واستشهد بآراءه في (الأمالي)، وأفاد منه أيضاً الشيخ الطوسي في تفسيره (التيان)، والطبرسي في (مجمع البيان)^(١).

٩- جامع البيان في تفسير القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ)^(٢)، نقل ابن شهر آشوب عنه الكثير من التفسير، وأفاد منه أعظم فائدة.

ففي مجال التأثير بهذا التفسير، نجد ابن شهر آشوب ينقل عن الطبري إلى حدّ كبير خصوصاً ما بالمأثور، وهو ما روي في تفسير القرآن عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة والتابعين.

ويلاحظ أنّ أقوال المفسرين وكتب التفاسير السالفة ذكرها أخذ عنها الطبري واستدلّ بها على آرائه التفسيرية وعدّها من مصادر تفسيره إلاّ تفسيرين، وهما: تفسير أبي علي الجبائي، وتفسير أبي القاسم البلخي، ولعلّ الطبري لم يطلع عليهما في تلك الفترة أو لعدم قبوله وموافقته لآرائهما بسبب

١٧٢، ٢٥٤، ج٤، ص٨، ١٦، ٤٢، ٤٩، ١٠٨، ٣١٠، ٣٦٨، ٣٨٠، ٤١٤.

(١) انظر: الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، ج١، ص١١١-١١٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٩١.

عقيدتها الاعتزالية.

ولم يكن موقف ابن شهر آشوب موقف المتأثر دائماً حين ينقل أقوال الطبري ويوافقه في جميع آرائه، بل كان يخالف الطبري في بعض الأحيان ويناقش أقواله، وهنا تتجلى شخصية ابن شهر آشوب العلمية.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾^(١)، بعد كلام طويل لتفسير هذه الآية، يأتي بكلام للطبري قائلاً: «الحسن والطبري: المراد بذلك: ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم؛ لأن ذلك يؤخذ منهم على كره، وهم إذا أنفقوا أنفقوا بغير نيّة، فتصير نفقتهم غرامةً وعذاباً من حيث لا يستحقّون عليها أجراً، وهذا غير صحيح»^(٢).

وأما بخصوص قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، يستعرض ابن شهر آشوب آراء المفسرين على مختلف أطيافهم بخصوص تفسير هذه الآية الكريمة، ومن ضمنهم الطبري، قائلاً: «وقال محمد بن جرير: يُعَذَّبُ المَيِّتُ في قبره من غير أن يردّ الروح عليه، وهذا كلّ محال، ومن كلام الجهال»^(٤).

ومن جملة ما يخالف ابن شهر آشوب الطبري فيما ينقل عنه، وهو أن الطبري يذكر أسانيده في تفسيره بالمأثور، أمّا ابن شهر آشوب فيحذف هذه الأسانيد.

(١) سورة التوبة: ٥٥.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٣٩٧.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾^(١)، قال ابن شهر آشوب: «قال الحسن وقتادة: لتركناهم عمياً يترددون»^(٢).

وإذا ما رجعنا إلى تفسير الطبري نجده يذكر هذه الأقوال وغيرها منسوبة إلى أصحابها بأسانيد التي تثبت عنده. والملاحظ أنه يذكر الأسانيد بالتفصيل عندما يستشهد بأقوال المفسرين الأوائل، إذ يقول:

«اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المحجة. ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليّة، عن أبي رجاء عن الحسن، في قوله: ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون، قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عمياً يترددون. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ولو نشاء لطمسنا على أعينهم... يقول: لو شئنا لتركناهم عمياً يترددون»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٤)، قال ابن شهر آشوب: «كان النبي ﷺ مؤيداً بالوحي، كاملاً في الرأي، مستغنياً عن الاستفادة، وكان ممن يوثق بقوله، ويرجع إلى رأيه. فالوجه في ذلك ما قال قتادة والربيع وابن إسحاق: إن ذلك على وجه التطيب لنفوسهم»^(٥).

(١) سورة يس: ٦٦.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ١٠٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج ٢٣، ص ٣١.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٢٤.

وقال الطبري بخصوص تفسير هذه الآية:

«بمشاورة أصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدو، تطيباً منه بذلك أنفسهم، وتألفاً على دينه، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم، ذكر من قال ذلك:

حدّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: أمر الله عز وجل نبيّه ﷺ أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحى السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، وأنّ القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده، وأسند هذا التفسير إلى الربيع ابن إسحاق قائلاً:

حدّثت عن عمّار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع (وشاورهم في الأمر) قال: أمر الله نبيّه ﷺ أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه الوحي من السماء؛ لأنه أطيب لأنفسهم.

حدّثنا ابن حميد، ثنا مسلمة، عن ابن إسحاق: (وشاورهم في الأمر): أي لترميم أنّك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت عنهم غنياً، تؤلّفهم بذلك على دينهم^(١).

١٠ - التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي

وهو الشيخ أبو جعفر بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة (٤٦٠هـ)^(٢)، زعيم الطائفة، صاحب تفسير (التبيان)، وله عدّة مصنّفات في شتى

(١) الطبري، محمد بن جرير، البيان، ج ٤، ص ٢٠٣.

(٢) معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٨٤٩. السيوطي، جلال

الدين، طبقات المفسرين، ص ٨٠.

حقول العلم والمعرفة، أمثال: المسوط، والخلاف، والنهاية في الفقه، والتهذيب، والاستبصار في الحديث، والاقتصاد، والتمهيد في الكلام، وغيرها.

وتأثر ابن شهر آشوب بالشيخ الطوسي في كثير من الآراء والأفكار، ونقل عنه الكثير في متشابه القرآن مصرحاً بذكر اسمه بقوله: قال الطوسي^(١).

ومن أمثلة ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢)، قال ابن شهر آشوب: «قال الطوسي: إننا يقبح الامتنان إذا كان الغرض الإزراء بالمنعم عليه، فأما إذا كان الغرض تعريف النعمة، وتعديدها، وإعلامه وجوبها ليقابلها بالشكر، فيستحق بها الثواب والمدح، فإنه نعمة أخرى وتفضّل آخر يستحق به الشكر»^(٣).

وفي موارد أخرى، نجد ابن شهر آشوب ينقل عن الطوسي من دون الإشارة إليه أو ذكر اسمه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^(٤). قال ابن شهر آشوب: «يدلّ على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورية؛ لأنه تعالى أخبر أنهم في شكهم يتردّدون، وهذه صفة الشاك المتحير في دينه، الذي ليس على بصيرة من أمره»^(٥).

(١) راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه: ج ١، ص: ٥٧، ٦٣، ١٠٠، ١٢١، ١٢٥، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٠، ٢٨٨، ٣٣٣، ٣٣٨. ج ٢، ص: ٨٦، ١٥٨، ٣١٦. ج ٣، ص: ٨٦، ١٣٨، ٣٦٣، ٤٠٧، ٤٧٦. ج ٤، ص ٣٩٢.

(٢) سورة إبراهيم: ١١.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٣٣٣.

(٤) سورة التوبة: ٤٥.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٨٣.

وعند مراجعتنا لتفسير (التبيان) وجدنا نفس الكلام يذكره الشيخ الطوسي عند تفسير هذه الآية^(١).

كما لخص ابن شهر آشوب في موضع آخر كلام الطوسي، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(٢) إذ يقول: «إنما خصّ (المفسدين) بأنه (عليم) بهم، على وجه التهديد لهم والوعيد بما يعلم، ممّا وقع من فسادهم، كما يقول القائل: أنا أعلم بسرّ فلان، وما يجري إليه من الفساد»^(٣).

إنّ هذا الكلام موجود بعينه في تفسير التبيان مع تغيير بسيط في بعض الألفاظ، يقول الطوسي: «إنما خصّ المفسدين بأنه عليم بهم على جهة التهديد لهم، والوعد بما يعلمه ممّا وقع من إفسادهم، كما يقول القائل: أنا أعلم بسرّ فلان وما يجري إليه من الفساد»^(٤).

أمّا ما يختصّ بباب التوحيد في كتاب متشابه القرآن، فقد لخص ابن شهر آشوب عن الطوسي في عدّة موارد، منها ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٥)، قال ابن شهر آشوب: «والمعنى إمّا يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى فيصيب الحق، وإمّا أن يكفر نعمه، فيكون ضالاً عن الصواب، وليس المعنى: إنّه مُخَيَّرٌ في ذلك، وإنّما خرج مخرج التهديد،

(١) انظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٢٩.

(٢) سورة آل عمران: ٦٣.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٢١٢.

(٤) الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٤٨٧.

(٥) سورة الإنسان: ٣.

كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(١)، بدلالة قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾^(٢)، وإنما المراد البيان بـ (من) أنه قادر عليهما، فأيهما اختار جُوزِي عليه بحسبه»^(٣).

وهذا المعنى بعينه ذكره الطوسي في (التبيان)^(٤)، ولعله مما حَقَّقه وقرَّره ابن شهر آشوب للسابقين عليه بناءً على ما أشار إليه في مقدمة الكتاب.

وأما ما يختص بأقوال المفسرين الأوائل، فقد استشهد بها ابن شهر آشوب بكثرة، واعتمد عليها ليعضد بها دليله ويقوّي حجّته، وهو ما لاحظناه كثيراً، بحيث لا يكاد باب من أبواب متشابهة القرآن يخلو منها.

فقد عوّل عمّا رواه الطوسي في التبيان ونقله لتلك الآراء، كأقوال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن البصري، وغيرهم، والتي نقلها أيضاً عن الطبري، لكنّ الطوسي لم يذكر الأسانيد، ولعلّ ابن شهر آشوب نقلها عن الطوسي مباشرة بدون الرجوع إلى الطبري، باعتبار أنّ الشيخ الطوسي لا يروي شيئاً إلاّ بعد مقبولية سنده.

لكنّ ابن شهر آشوب اعتمد على الطوسي في أقوال بعض المفسرين ممن لم يذكرهم الطبري في جامع التبيان، كأبي علي الجبائي، وأبي القاسم البلخي، والرماني.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ

(١) سورة الكهف: ٢٩.

(٢) سورة الكهف: ٢٩.

(٣) متشابهة القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٥١.

(٤) انظر: الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٢٠٧.

تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، قال ابن شهر آشوب: «استدلّ الجبائي^(١) بذلك على أنّ الثواب مستحقّ بأعمال الطاعات، فلا يستحقّ من الأصالح؛ لأنّ الله تعالى بيّن أنّهم أورتوها بما عملوا من طاعاته عزّ وجلّ»^(٢).

كما استشهد بأقوال البلخي، والرماني، وغيرهما، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(٣).

يقول ابن شهر آشوب: «قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي، والحسن، والبلخي، والرماني، وأكثر المفسرين: إنّه خاف عليهم العين»^(٤). وهذا التفسير ذكره الطوسي أيضاً نقلاً عن أقوال بعض المفسرين كالبلخي والرماني^(٥).

١١ - مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي

وهو الشيخ الفضل بن الحسن بن الفضل، أبو علي الطبرسي، توفي سنة (٥٤٨هـ)، مفسر مشارك في بعض العلوم، من آثاره: مجمع البيان في تفسير القرآن، اعلام الوري بأعلام الهدى في مجلدين، وغيرهما^(٦).

(١) سورة الأعراف: ٤٣.

(٢) راجع: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٠٥.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٤) سورة يوسف: ٦٧.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٧٢.

(٦) انظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٦٧.

(٧) انظر: كحالة، عمر، معجم المؤلفين، ج ٨، ص ٦٦. معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في

ثوبه القشيب، ج ٣، ص ٨٥٦.

وقد استقى ابن شهر آشوب الكثير من المعلومات والأفكار في مجال التفسير من الشيخ الطبرسي، ولعلّ السبب كان قربه وتلمذه على يد الطبرسي، فانعكس هذا التأثير بشكل كبير على العقلية التفسيرية لابن شهر آشوب من خلال أستاذه وملهمه. حيث أشار إلى هذا المعنى في كتابه (معالم العلماء)، حيث ترجمه قائلاً: «شيخي أبو علي الطبرسي، له كتاب مجمع البيان في معاني القرآن حسن، الكاف الشاف من الكشاف...»^(١).

ومن خلال تتبعنا يظهر لنا تأثير ابن شهر آشوب بأستاذه الطبرسي في نقله لآراء المفسرين القدامى، والاستشهاد بها أكثر مما نقله عن الطوسيّ للسبب الذي ذكرناه سالفاً.

وقد نقل الكثير من أقوال المفسرين مستشهداً بأرائهم متأثراً ومعتمداً على ما نقله أستاذه الطبرسي، وبالأخص آراء أبي علي الجبائي، وأبي القاسم البلخي، من دون الإشارة إلى المصدر الذي نقل منه تلك الآراء.

وفي بعض الأحيان لا يوافق تلك الأقوال، وإنّما يشكل عليها ويناقشها مناقشةً علميةً رصينةً، فمثلاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).

يقول ابن شهر آشوب: «استدل الجبائي^(٣) بذلك على تفضيل الملائكة على البشر؛ لأنّه خرج مخرج التعظيم، ولم ينكره الله تعالى.

(١) المازندراني، محمد بن علي، معالم العلماء، ص ١٣٥.

(٢) سورة يوسف: ٣١.

(٣) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣٩٧.

وهذا ليس بشيء؛ لأن الله حكى عن النساء: أَنَّهُنَّ أَعْظَمْنَ يَوْسُفَ لَمَّا رَأَيْنَ
 مِنْ وَقَارِهِ وَسُكُونِهِ، وَبَعْدَهُ عَنِ السُّوءِ، وَقُلْنَ: لَيْسَ هَذَا بَشَرًا، بَلْ هُوَ مَلَكٌ.
 يَعْنِيَنَّ: أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَأْكُلُ، وَلَا يَشْتَهِي النِّسَاءَ، وَلَمْ يَقْصِدْنَ كَثْرَةَ ثَوَابِهِ عَلَى ثَوَابِ
 الْبَشَرِ، وَكَيْفَ يَقْصِدُونَهُ وَهِنَّ لَا طَرِيقَ لَهُنَّ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؟ عَلَى أَنَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ
 الْمَائِلَاتِ إِلَيْهِ، بَمَا لَا يَجُوزُ فَكَيْفَ يَحْتَجُّ بِقَوْلِهِنَّ؟ وَإِنَّمَا لَمْ يَنْكَرَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى عِلْمُ
 أَنَّهُنَّ لَمْ يَقْصِدْنَ مَا قَالَ الْجَبَائِي، وَلَوْ كُنَّ قَصْدَنَهُ لِأَنكَرَ»^(١).

وفي مورد آخر نجده يؤيد ما يذهب إليه المفسرون من أقوال تفسيرية،
 فيذهب إلى ما ذكره الجبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُ بَلِيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ
 السَّاجِدِينَ﴾^(٢).

قال الشيخ المازندراني: «اختلفوا في كيفية هذا الخطاب: فقال الجبائي^(٣): قال
 الله تعالى له ذلك على لسان بعض رُسله. وهو الأليق، لأنه لا يصح أن يكلمه الله
 بلا واسطة في زمان التكليف»^(٤).

وبعد مطالعتنا لمتشابه القرآن، عثرنا على العديد من الآراء المتناثرة لأبي علي
 الطبرسي، يستدل بها الشيخ ابن شهر آشوب في تفسيره وتأويل الآيات القرآنية،
 لكنّه في نفس الوقت يوعزها صريحاً إلى قائلها.
 ولم يقتصر على نقله لآراء المفسرين والمتكلمين المأخوذة عن الطبرسي، وأنما

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٣١٥.

(٢) سورة الحجر: ٣٢.

(٣) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١١٥.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٣٣٦.

كان ينقل أقوال أستاذه في متشابه القرآن مباشرة بقوله: قال أبو علي، ويقصد بذلك أبو علي الجبائي^(١).

ومن تلك الموارد هو دليل وجوب اللطف، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(٢).

قال الشيخ المازندراني: «استدل أبو علي^(٣) بهذه الآية أنه متى كان في معلوم الله أنه لو أتاهم الآيات التي طلبوها لآمنوا عندها، وجب أن يفعلها بهم، ولولا أن ذلك كذلك لم يحتج على العباد في منعه آياتهم التي طلبوها: أتى إنما منعتهم إيّاها؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون، ولو آتيتهم إيّاها لقالوا: ﴿إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٤). وهذا دليل على وجوب اللطف»^(٥).

١٢ - ابن شهر آشوب والسيد المرتضى

انتهج ابن شهر آشوب منهجاً واضحاً في تأويل وتفسير الآيات المتشابهة في القرآن، مستدلاً بعدة طرقٍ وأدواتٍ، وظّفها في توجيه النصوص القرآنية وتأويلها حسب الشرع والعقل واللغة كما ذكر في مقدّمة الكتاب.

(١) راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص: ٦١، ١٠٤، ١١٢، ١١٦، ١٢١، ١٢٦، ١٧٢ / ٢٠٥ / ٣٩٧، وج ٢، ص: ١١٢، ١٢٨، ١٧١، ١٩٤، ٢١٠، ٢٧٩، ٤١٦، وج ٣، ص: ١٣٨، ٤١٣، ٤٦٠، ٤١٨.

(٢) سورة الأنعام: ٧.

(٣) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٣. نقل ابن شهر آشوب هذا الرأي مع اختلاف في الألفاظ.

(٤) سورة الأنعام: ٧.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ١٩٦١.

وقد كان من معالم منهجه التفسيري، اعتماده على الاستدلال على مَنْ سبقه من أقوال العلماء والمفسرين والمتكلمين؛ ولهذا نجد متشابه القرآن يحتوي على الاستشهاد بنسبة كبيرة على تلك الأقوال، وخصوصاً التي عنت بموضوع الآيات المتشابهة والتي اختلف العلماء في تفسيرها وتأويلها.

ومن أهم مصادر متشابه القرآن في نظرنا هو كتاب: (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى؛ وذلك لتقاربه في وحدة الموضوع وهو تأويل الآيات المتشابهة والمختلف فيها بين العلماء.

والسيد المرتضى هو الشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي، لقبه علم الهدى المرتضى، توفي عام (٤٣٦هـ)، وكان متوحداً في علوم كثيرة، مثل: الفقه، والكلام، وأصول الفقه، والأدب، والنحو، والشعر ومعانيه، وغير ذلك، وله مؤلفات ومصنّفات عديدة منها: (الأمالي)^(١).

وكتاب (غرر الفوائد ودرر القلائد) أو (الأمالي) على تسمية ثانية، عبارة عن مجالس مختلفة أملاها السيد المرتضى على تلاميذه في أزمان متعاقبة، تنقل فيها من موضوع إلى آخر، وقد اختار بعض الآيات القرآنية التي تصعب على العامة والخاصة تأويلها، وقد حاول أن يوفق بين تأويل الآيات المتشابهة وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة، وأعانه على ذلك وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام.

وتطرّق السيد المرتضى إلى عرض المسائل المختلفة في علم الكلام ممّا دار حولها

(١) راجع: الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، ص ١٦٤.

الجدل واختلف فيها الرأي، مثل: القول برؤية الله، وخلق أفعال العباد، وإرادة الله للقبائح، وغيرها من المسائل الكلامية التي اشتهر الخلاف فيها بين الملل وقتئذٍ.

وقد تأثر ابن شهر آشوب بآراء السيّد المرتضى الكلامية واللغوية، ووظّفها في استدلالاته في تأويل وتوجيه الآيات المشابهة في القرآن.

وعند مطالعتنا لكتاب (متشابه القرآن) وجدنا أنّ هناك الكثير من أقوال المرتضى متناثرة في أجزاءه الخمسة، وهذا يدلّ على شدّة تأثر الشيخ المازندراني بالشريف المرتضى، ولعلّ انتساب كليهما إلى طائفة العدلية ساهم بشكلٍ كبيرٍ في تقارب منهجيهما في تفسير وتأويل المتشابهات.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(١)، نجده يستشهد برأي السيّد المرتضى قائلاً: «وقال المرتضى: البكاء كناية عن المطر، والعرب تشبّه المطر بالبكاء، فيكون معنى الآية: إنّ السماء لم تسقِ قبورهم؛ لأنّهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه. قال عدي بن حاتم الطائي في وفاة النبي ﷺ:

إنّ الذي بكّت السماء لفقده عميت علينا بعده الأنباء»^(٢)

وهذا الكلام بعينه ذكره السيّد المرتضى في الأمالي كوجهٍ خامسٍ لتأويل الآية، مع اختلاف الاستشهاد بالآيات الشعرية^(٣).

وتبنّى في موضع آخر قول السيّد المرتضى حول المراد بكلمة (الحجاب) في

(١) سورة الدخان: ٢٩.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ١٤١.

(٣) انظر: المرتضى، علي بن الحسن، غرر الفوائد ودرر القلائد، ج ١، ص ٤٠.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾^(١).

قال ابن شهر آشوب: «وقال المرتضى: المراد بالحجاب: البعد والخفاء، يُقال: بيني وبينك حجاب، أي: استبعد فهمك. ويُقال: بيني وبين هذا الأمر حُجب وموانع وسواتر^(٢)، أي: طريق مستبعد، فيكون معنى الآية: أنه لا يكلم البشر - إلاً وحيًا بأن يخطر في قلوبهم، أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريد، أو يكرهه منهم، فيكون بذلك مخاطبًا، وجعل هذا الخطاب ﴿مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ من حيث لم يكن مسموعًا، كما يسمع خاطر وقول الرسول، فصار الحجاب هنا كناية عن الخفاء، وعبارة عما تدل عليه الدلالة»^(٣).

ونجد ابن شهر آشوب في موضع آخر ينقل عن المرتضى في النحو، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(٤)، قال: «وقال المرتضى: إنه فاعل بمعنى: مفعول، كما يُقال: رداء ساحب، بمعنى: مسحوب. فالشاعر بمعنى: المشكور»^(٥).

كما نقل رأي المرتضى في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٦)، قائلًا: «وقال المرتضى: إنما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين، وأنّ الجواب لو صدر منه إليهم، لازدادوا

(١) سورة الشورى: ٥١.

(٢) راجع: المرتضى، علي بن الحسن، غرر الفوائد ودرر القلائد، ج ٤، ص ١١٦.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٢٩٣، نقل هذا الرأي عن المرتضى مع اختلافٍ يسيرٍ في الألفاظ.

(٤) سورة النساء: ١٤٧.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٣٣٠.

(٦) سورة الإسراء: ٨٥.

فساداً و عناداً؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين^(١).

وفي معرض جوابه على التساؤل الحاصل في الآية: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلِ يَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٢)، وهو: ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾؟ وقوله: (غشيهم) يدلّ عليه ويستغنى به عنهم. فيستشهد هنا بأحد وجوه التأويل التي ذكرها المرتضى في الأمالي قائلاً: «قال المرتضى: الفائدة في قوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ تعظيم الأمر، يُقال: فَعَلَ فلان ما فعل، وأقدم على ما أقدم. ومن هذا الباب هذا هذا، وأنت أنت، وهم هم».

قال أبو النجم: أنا أبو النجم وشعري شعري^(٣).

وقد استشهد المرتضى^(٤) بأبيات شعريّة للهذلي لم يذكرها ابن شهر آشوب؛ لاكتفائه بالمراد.

قال الهذلي:

رقوني وقالوا يا خويلة لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم
والملاحظ أنّ الكثير من الكتب والآراء التفسيرية السالفة التي كانت موضع اعتماد ابن شهر آشوب قد ذكرها الطبري في تفسيره، والطوسي في التبيان، والطبرسي في مجمع البيان، وهناك آراء تفسيرية اعتمد عليها ابن شهر آشوب كمصدرٍ من مصادره، كتفسير الثعلبي، وعبد الله بن مسعود، وغيرها من تلك

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص ٨٨. المرتضى، علي بن الحسن، غرر الفوائد، ج ١، ص ٩.

(٢) سورة طه: ٧.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٤٠.

(٤) المرتضى، علي بن الحسن، غرر الفوائد، ج ٣، ص ٢٤.

الآراء، ولو أننا ذكرناها لطلال بنا المقام.

ب- مصادر من السنة

تعتبر السنة النبوية من أهم المصادر المعتمدة في كتاب (متشابه القرآن)، حيث كان ابن شهر آشوب يورد الأحاديث ويستشهد بها في تفسيره وتأويله للآيات.

وعلى الرغم من أن تفسيره لا يُعدّ تفسيراً بالمأثور، ولكنه يورد الأحاديث ليعضد بها دليله تارةً، ويستشهد بها كمؤيد تارةً أخرى، وقد يكتفي بالرواية في بعض الأحيان دون إبداء أي رأي أو قول.

وكانت مصادر في السنة هي اعتماده على روايات النبي وأهل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين، وقد عوّل على روايات الصحابة، لا سيما في مقام الاحتجاج، حيث نقل الكثير عنهم من مصادر العامة، فوجدناه يأخذ عن البخاري، والترمذي، ومسلم، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والطبري، وأبي حنيفة، وابن ماجه، وغيرهم، ولا نريد هنا أن نتعرض أو نذكر أمثلة لأقوال العامة؛ باعتبار أننا ذكرناها سالفاً في الفصل الثاني ولسنا الآن بصدد ذكرها^(١).

أسانيد ابن شهر آشوب في التفسير

ذكر ابن شهر آشوب في مقدّمة كتابه (المناقب) أن الأسانيد التي اعتمدها من

(١) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٣، ص: ١٤٨، ٢٢٤، ٣٢٠، وج ٤، ص: ١٤٥، ٣٣٨، وغيرها، وقد استدل المؤلف بأقوال أبي هريرة في عدّة مواضع من الكتاب، للمزيد من الاطلاع راجع: ج ١، ص ١١٥، وج ٢، ص ٣٥، وج ٣، ص: ١٥٦، ١٦٥، ١٩٠، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٠، وج ٤، ص: ١٦٥، ١٦٦.

كتب التفسير واللغة، قد أشار إليها في كتابه (الأسباب والنزول)^(١).

وبالنسبة إلى الكتب التفسيرية واللغوية التي استعان بها في المناقب - كمصادر أساسية له - الملاحظ أنّ أغلبها قد اعتمد عليها في كتابه (متشابه القرآن)، وهذا ما لمسناه من قوله:

«وأما أسانيد التفاسير والمعاني فقد ذكرتها في الأسباب والنزول، وهي: تفسير البصري، والزخشي، والجبائي، والطائي، والسدي، والواقدي، والواحدي...، والكلي، والثعلبي...، وقيادة والضحاك، وابن عيينة، وأبي صالح، ومقاتل...، والأصم والزجاج، والفراء...»^(٢).

أما بخصوص أسانيد كتب الشيعة المعتمدة في الروايات والأخبار التي استعان بها في (متشابه القرآن)، فأغلبها جاءت عن طريق الشيخ أبي جعفر الطوسي، قال ابن شهر آشوب: «فأما أسانيد كتب أصحابنا [يعني الشيعة] فأكثرها عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، حدّثنا لذلك...»^(٣).

وهناك تساؤل خطر في بالي عند مطالعتي لكتاب (متشابه القرآن)، وهو عدم ذكر الشيخ ابن شهر آشوب لأسانيد التفاسير والروايات التي اعتمدها، ولم يشر إلى سبب حذف الأسانيد في مقدّمته ولا في طيّات كتابه، وبعد البحث والتقصّي عن ذلك، وجدتُ جواب التساؤل في كتابٍ آخر له جاء تحت عنوان: (مناقب آل أبي طالب)، وعثرتُ على الإجابة في مقدّمة ذلك الكتاب.

(١) اسم الكتاب (الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول)، وهو مفقود لم نثر عليه.

(٢) المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٣.

وبصدد حذفه لأسانيد الأخبار قال: «وحذفتُ أسانيدَها؛ لشهرتها ولإشارتي إلى روايتها وطرقها والكتب المنتزعة منها، لنخرج بذلك من حدِّ المراسيل وتلحق بباب المسندات»^(١).

إذن، فمحصل هذا الكلام يُشير بوضوحٍ إلى علة عدم ذكر أسانيد الأخبار والروايات الواردة في متشابه القرآن؛ على اعتبار شهرتها، ولإشارة المؤلف إلى طرق أسانيدِها في مصدر آخر له.

بناءً على هذا، يمكن لنا أن نتوصّل إلى نتيجة، وهي: أن الشيخ المازندراني لم يعتمد على أخبار المراسيل الضعيفة، وإنّما اعتماده على الأخبار المسندة والموثقة.

مصادر ابن شهر آشوب من كتب اللغة والنحو

لقد استمدّ ابن شهر آشوب المادّة اللغوية والنحوية من كتبٍ كثيرةٍ ومتنوّعةٍ، وهي مصادر قد جمعت بين اللغة والنحو، ولها صلة وثيقة بالنصّ القرآنيّ.

وبيانه للمعاني القرآنية في أغلب الأحيان، لا يذكر مصادره النحوية واللغوية التي استقى منها ذلك البيان، مكتفياً بالإشارة إلى أسماء الأعلام ممّن أخذ منهم تلك المعاني والشروح، ومن أبرز الأسماء التي تردّدت في طيّات (متشابه القرآن)، نشير إليها على سبيل المثال لا الحصر، هي كالتالي:

الفراء (يحيى بن زياد) ت ٢٠٧هـ.

الكسائي (علي بن حمزة) ت ١٨٩هـ.

الزجاج (إبراهيم بن السري) ت ٣١٢هـ.

(١) المصدر السابق: ص ١٤.

الأخفش (سعيد بن مسعدة) أبو الحسن، ت ٢١٥ هـ.

أبو عبيدة النحوي (معمربن المثني) ت ٢٠٩ هـ.

قطرب (محمد بن المستنير) ت ٢٠٦ هـ.

المبرد (محمد بن يزيد) ت ٢٨٥ هـ.

الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت ١٧٠ هـ.

ابن دريد (محمد بن الحسن) ت ٣٢١ هـ.

وكانت عناية ابن شهر آشوب بالمسائل النحوية واللغوية سريعة، فهو يمسّ المسألة النحوية أو اللغوية مساً خفيفاً، ويطيل الوقوف عليها، وقد يعرضها بإيجاز مستشهداً بأقوال العلماء، أمّا بنسبتها إليهم لا على التعيين بقوله: (قال بعضهم)، وأخرى ينسبها مصرّحاً بذكر الاسم، ومن أمثلة الأوّل ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾^(١)، قال: «قال بعضهم: البغي على وزن (الفُعول)، والنعت إذا كان على (فُعول) يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: امرأةٌ صبورٌ وشكور»^(٢).

وقال في موضع آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٣)، قال: «وقال بعضهم: (السماء) جمع، واحدة: سماءة، مثل: بقرةٌ وبقرةٌ، وتمرّةٌ وتمرٌّ، فلذلك أنثت تارةً، قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ

(١) سورة مريم: ٢٨.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٤١٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٩.

أَنْشَقَّتْ ﴿١﴾، وذكرت أخرى، فقليل: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾.

ومن أمثلة القسم الثاني، وهو إيعاز نسبة الأقوال إلى أصحاب الكتب اللغوية والنحوية فقط من دون ذكر المصادر، وهي كثيرة جداً، نذكر أمثلة منها:

١- يذكر ابن شهر آشوب ما نصّ عليه ثعلب في معنى (المنّ) في تفسير قوله

تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿٤﴾، فيقول:

«وقال ثعلب: أجمع أهل اللغة كلهم أنّ المنّ من الله محمود؛ لأنه منّة وتفضل.

وأصول النعم كلها منّة. والمنّ من الخلق تفرّيع وتوبيخ، قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ ﴿٥﴾ ... الآية ﴿٦﴾.

٢- كما يذكر ابن شهر آشوب قولاً للفراء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا

تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧﴾، فيقول:

«قال الفراء: إنّما كان كذلك؛ لأنّ العروض كلّها أنت مخير فيها في إدخال

(الباء)، إن شئت قلت: اشتريت الثوب بكساء، وإن شئت قلت: اشتريت بالثوب

كساء، أيها جعلته ثمناً لصاحبه جاز. فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت (الباء)

(١) سورة الانشقاق: ١.

(٢) سورة المزمل: ١٨.

(٣) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٤٢١.

(٤) سورة إبراهيم: ١١.

(٥) سورة الحجرات: ١٧.

(٦) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٣٣٣.

(٧) سورة البقرة: ٤١.

في الثمن، كقوله: ﴿ثَمَنٌ بِحَسِّ﴾؛ لأن الدرهم ثمن أبدأ^(١).

٣- ويسجل ابن شهر آشوب قولين للخليل بن أحمد وللاخفش، في معنى (العجل) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢)، فيقول:

«معناه: المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة وشدة الاستعجال، كقولهم للنؤوم: ما خلقت إلا من نوم.... وقال الأخفش: المراد أن الإنسان خلق من تعجيل الأمر؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، وقال الخليل: العجل: الطين»^(٤).

٤- ويستشهد ابن شهر آشوب بقول أبو عبيدة معمر بن المثنى وابن دريد في معنى كلمة (الصعيد) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى... فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٥)، فيقول: «وقال أبو عبيدة، وابن دريد: الصعيد: التراب الذي لا يخالطه غيره. والطيب هو الطاهر»^(٦).

٥- كما نجده يستدل بأقوال جملة من اللغويين لمعنى كلمة (الخداع) في تأويل قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٧)، قائلاً: «قال أبو عبيدة: (يخادعون) بمعنى يخدعون...، قال الحسن والزجاج

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٤٣٨.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٧.

(٣) سورة النحل: ٤٠.

(٤) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٤٣-٤٤.

(٥) سورة المائدة: ٦.

(٦) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ١٥٨.

(٧) سورة البقرة: ٩.

والأزهري: معنى (يخادعون الله): أنهم يخدعون نبيّه، كما قال: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾^(١).

٦- يذكر قولاً للفراء في بيان معنى (الاستواء) في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٣)، فيقسّم ابن شهر آشوب معنى (الاستواء) إلى أقسام، فمرة يأتي بمعنى المقدار، وأخرى بمعنى المكان، وثالثة بمعنى الاستيلاء، ثم يستشهد بكلام الفراء قائلاً: «الفراء والقاضي عبد الجبار: أي: قصد إليها فخلقها، كما يُقال: كان فلان مقبلاً على فلان، ثم استوى إليّ، وعليّ يكلمني. ومرّ فلان مستويّاً إلى موضع كذا. ولم يعدل»^(٤).

أمّا بخصوص المسائل النحوية، فقد وُجدت بكثرة في متشابه القرآن، حتى أنّ ابن شهر آشوب خصّص لها باباً مستقلاً تحت عنوان: (باب ما جاء من طريق النحو)، إلاّ أنّه امتاز في هذا الباب بالاعتماد على كثير من آرائه المستقلة من دون الرجوع إلى الغير في تلك المسائل؛ نظراً لاطّلاعه الواسع وتبحّره في قضاياها الدقيقة وجزئياتها المتشعبة، فعمل على توظيفها لحلّ مشكل الآيات المتشابهة، أو التي يُدعى وقوع الاختلاف فيها، أو بتوهم التناقض عن طريق مسائلها النحوية^(٥).

(١) سورة الأنفال: ٦٢.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٢، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) سورة طه: ٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٩.

(٥) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٣٦٧.

(٦) للمزيد من الاطلاع، راجع: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٣٩٧-٥٠٦.

ونقل ابن شهر آشوب الكثير من تلك المسائل، واستقى معلوماته من كبار علماء النحو المتخصصين في هذا الجانب، نضرب مثلاً لذلك:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١)، يذكر ابن شهر آشوب قولين للفراء والأخفش، فيقول: «قال الفراء: السماء واحد يدلّ على الجمع، فلذلك ذكرها بلفظ الواحد، ثم كنى عنها بلفظ الجمع في قوله (فسوّاهنّ). وقال الأخفش: (السماء) اسم جنس يدلّ على القليل والكثير، كقولهم: أهلك الناس الدينار والدرهم»^(٢).

وهناك مصادر كثيرة أخرى لغوية ونحوية اعتمدها ابن شهر آشوب في كتابه (متشابه القرآن)، والمطلع على هذا الكتاب يجد الكثير من علماء اللغة والنحو ذكرت آراؤهم في قضاياها اللغوية والنحوية، أمثال الأصمعي، وابن السكيت، وأبي عمر بن العلاء، والسيد المرتضى، وغيرهم، ولم يسعنا المجال لذكر آرائهم بشكلٍ تفصيليٍّ، وإنّما اقتصرنا على ذكر بعضها على سبيل المثال.

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ٤، ص ٤٢١.

المبحث الثاني

حضور تفسير متشابه القرآن في كتب الشيعة الإمامية

إن إبراز القيمة العلمية لأيّ تفسير هو في الواقع جانب من أهمّ جوانب دراسته، وعنصر كبير من عناصر تكامل البحث فيه؛ لذا عقدتُ هذا البحث لكي أبين القيمة العلمية لهذا التفسير، ورأي العلماء فيه، كما وأعرض عدّة تساؤلات أحاول الإجابة عليها - حسب اطلاعنا - حول القيمة العلمية لكتاب متشابه القرآن، والآراء التي نُقلت عنه، وأنّه هل عانى من الإهمال لفترة من الفترات؟ وإذا كان كذلك فما هي أسباب ذلك الإهمال؟

أحاول من خلال هذا المبحث أن أستعرض هذه التساؤلات لعلّي أوفق بالإجابة عليها إجابةً وافيةً، توضّح للقارئ قيمة (متشابه القرآن) العلمية في نظر العلماء والمحقّقين.

متشابه القرآن في نظر أصحاب التراجم والطبقات

بعد استقراءنا لمصنّفات وكتب التراجم والطبقات، وجدنا أنّ أصحابها لم يتطرّقوا إلى قيمة تفسيرنا العلمية والمعرفية، وإنّما اكتفوا بالإشارة إليه وذكره في مصنّفاتهم وكتبهم، مكتفين في بعض الأحيان بالإشادة به فقط بدون توضيح لوزنه العلميّ والمعرفيّ.

ومن جملة مَنْ ذكره منهم هو الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات،

قائلاً: «ومن تصانيف المازندراني كتاب في النحو سمّاه الفصول... وكتاب متشابه القرآن...»^(١).

وقال الميرزا النوري مثنياً عليه: «ولابن شهر آشوب مؤلفات حسنة غير المناقب، اعتمد عليها الأصحاب، وعندنا منها كتاب متشابه القرآن، أهدها شيخنا الحرّ إلى العلامة المجلسي، وفي ظهر الكتاب خطّهما، وهو كتاب عجيب يُنبئ عن طول باعه، وكثرة تبخره، وكفاه فخراً إذعان فحول أعلام السنّة بجلالة قدره، وعلوّ مقامه»^(٢).

وهو يتمييز كما يقول السيّد هبة الدين الشهرستاني: «بحسن أسلوبه، وتبويه، وبداعة تربيته، إذ صاغ المصنّف مصنّفه العلامة المتفنّن على دوائر العلوم الإسلامية، فوزّع المتشابهات على ذات النسق، مبتدئاً من أبواب التوحيد، وصفات الله، فأبواب العدل والتنزيه، إلى أبواب النبوة والإمامة، فالمعاد يوم القيامة، ثمّ أبواب الفقه والتشريع... ثمّ الفنون الأدبية والعربية، وهذا الوضع البديع نادر، غير مسبوق، يُعين الطالب في تسهيل المطالب... مع حسن أسلوبه، وسبكه البديع في انتقاء المعاني المهمة، وانتخاب المطالب الفدّة... بفصاحة تعانق بلاغة المعنى، بإيجاز واختصار جعلتا هذا السّفر النفيس جديراً للمصاحبة والتدريس»^(٣).

وقد أطرى على كتاب متشابه القرآن بعض المحقّقين المعاصرين، حيث قال

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص١١٨. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٦، ص٢٧٩.

المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١، ص٩٠.

(٢) الميرزا النوري، حسين، خاتمة المستدرک، ج٣، ص٥٨.

(٣) انظر: مقدمة السيّد هبة الدين الشهرستاني، متشابه القرآن ومختلفه، انتشارات بيدار.

عنه: «فهو خير من كتب في متشابهات القرآن بأجمعها، وأشملها، وأتقنها إحكاماً، وبياناً وتفصيلاً، وضعه إلى أسلوب طريف...، وما إلى ذلك ترتيباً طبيعياً، منسجماً، سهل التناول، قريب المنال، في عبارات سهلة جزلة»^(١).

ولم نجد أحداً ينقل عن (متشابه القرآن) إلا صاحب مستدرك الوسائل، وهو حديث عن النبي ﷺ، والعلامة الأميني صاحب كتاب (الغدیر).

وهذا يدل على إهمال واضح وجلي لكتاب متشابه القرآن، ولعل هذا الإهمال له أسباب ستعرض إليها بعد ذلك.

ولم يكن الإهمال قد طال بقيّة مؤلّفات وكتب ابن شهر آشوب الأخرى، وإنّما نقل عنها جملة من العلماء والفقهاء، خصوصاً أنّ المؤلّف كان ضالعاً في عدّة مجالات معرفية، كعلم الرجال، واللغة، والحديث، وكان كتابه (معالم العلماء) مصدراً أساسياً في معرفة أحوال الرجال ووثافتهم، كذلك كتاب (المناقب) الذي نقل عنه الكثير من آرائه ومعتقداته، وصار مصدراً مهماً يرجع إليه العلماء والباحثون.

وما نقل عن (متشابه القرآن) جاء على لسان الميرزا النوري في كتابه (مستدرك الوسائل)، فيقول: «محمد بن علي بن شهر آشوب في كتاب متشابه القرآن: عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلِيًّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ)»^(٢).

كذلك وجدنا الشيخ الأميني في كتابه (الغدیر) يستشهد بكلام ابن شهر آشوب،

(١) معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٩٣١.

(٢) الميرزا النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج ٥، ص ١٥.

ويستدلّ به على أنّ أبا طالب كان مسلماً من خلال جملةٍ من أشعاره، فقال:

«قال العلامة الأوحّد ابن شهر آشوب في كتاب متشابهات القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١): إنّ أشعار أبي طالب الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكشف فيها من يكشف النبي ﷺ ويصحّ نبوّته، ومما ذكر له قوله في وصيّته:

أوصي بنصر- بني الخير أربعة ابني علياً وشيخ القوم عبّاسا
وحمة الأسد الحامي حقيقته وجعفرأ أن تذودا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم أمّي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا^(٢)

ونقل بعض العلماء عن ابن شهر آشوب وتراثته التفسيريّ عن كتاب له تحت عنوان (أسباب نزول القرآن)، والذي أشار إليه المصنّف، وذكر أنّ بانضمام (متشابه القرآن) مع هذا الكتاب يحصل جُلُّ علوم التفاسير^(٣).

وكذلك أخذ عنه السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، مستدلاً برواية نقلها عن ابن شهر آشوب في كتابه (أسباب النزول) عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾^(٤)، «فقال في مسند أحمد بن حنبل عن جابر الأنصاري: أنّ النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلّون بعده، قال: فخالف عمر حتى رفضها»^(٥).

(١) سورة الحج: ٤٠.

(٢) الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج ٧، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٣) انظر: متشابه القرآن والمختلف فيه، ج ١، ص ٤٩.

(٤) سورة البقرة: ١٨٠.

(٥) انظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص ٤٣١.

وذكر العلامة المجلسي كتاباً تحت عنوان (بيان التنزيل)، فقال: «وبيان التنزيل كتابٌ صغير الحجم كثير الفوائد، أخذنا منه يسيراً لكون أكثره مذكوراً في غيره»^(١).

وكتاب (البرهان في أسباب نزول القرآن) لابن شهر آشوب ذكره العلامة المجلسي، واستشهد بكلامه قائلاً: «تخصيص النبي ﷺ لعلي عليه السلام بحمله على ظهره ورميه الأصنام وتشريفه بذلك على سائر الأنام، رواه أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما، وأبو بكر في تاريخ بغداد... واجتمع أهل البيت على صحتها»^(٢).

وكتاب (أسباب النزول) ورد بعدة أسماء، منها: ما ذكره العلامة المجلسي وبعض العلماء^(٣)، وجاء اسم الكتاب تحت عنوانٍ آخر، وهو: (الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول).

وبعد ذكرنا لإطراء العلماء وأصحاب التراجم وثنائهم على كتاب (متشابه القرآن)، إلا أنه لم يأخذ مكانته العلمية بين مصنّفات التفسير والتأويل، وأمّا ما ذكرتُ بخصوص الموردين اللذين نُقلا عنه، فهو نقلٌ لا يكاد يتعدّى إلى النقل بالمأثور واستشهاد روائيٍ فقط، ولم نجد من المفسّرين اللاحقين لعصر المؤلف حتى بعد مرور قرنين أو ثلاثة من اعتمد على هذا المصنّف أو معلوماته القيّمة في جانب التفسير.

ويمكن أن تكون هناك أسباب ساهمت في إهمال الكتاب واعتماده كمصدرٍ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣٨، ص ٨٦.

(٣) انظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل، ج ٢، ص ٢٨٥.

من مصادر التفسير، وبالتالي، لم يخرج إلى النور إلا بعد مئات السنين من تأليفه.
ونلخص هذه الأسباب باحتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأول:

لم يلق هذا الكتاب أهمية؛ وذلك لأنه جاء محاكياً لما قبله من كتب التفاسير وعلوم القرآن، ولم يأت بشيء جديد، وإنما كان صاحبه مهتمً بنقل الآراء وإيضاحها وشرحها، لذلك لم يشق طريقه في المكتبة الشيعية، وإنما أهمل لمحاكاته لآراء السابقين وخصوصاً الشيخ الطوسي (شيخ الطائفة).

ولقد ذكر سديد الدين الحمصي، الفقيه الشيعي المشهور أواخر القرن السادس، بأن الشيعة بعد الشيخ الطوسي لم يكن لهم فقيه وصاحب نظر، بل صار جميع فقهاء الشيعة حكاة لآراء الشيخ، ومبينين لنظراته وحسب^(١).

الاحتمال الثاني:

يمكن أن يكون الكتاب (متشابه القرآن) قد فقد مدّة من الزمن بعد وفاة ابن شهر آشوب عام (٥٨٩ هـ)، أو خُبيء في مكان للمحافظة عليه من الاندثار، وخصوصاً بعد تعرّض حلب - التي قضى فيها ابن شهر آشوب بقيّة حياته - إلى حروبٍ ونكباتٍ.

الاحتمال الثالث:

يُحتمل أنّ الكثير ممّن جاء بعده من العلماء والمفسّرين لم يطلّعوا أو يقرأوا التراث التفسيري لابن شهر آشوب في هذا الكتاب؛ ولهذا، لم يعتمدوا عليه كمصدرٍ من المصادر المعتمدة في عالم التفسير.

(١) انظر: السيد ابن طاووس، علي بن موسى، كشف المحجّة لثمرّة المهجّة، ص ١٢٧.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

وفي نهاية المطاف لهذا البحث، يُستحسن ذكر النتائج التي توصلنا إليها، وكذلك التوصيات اللازمة التي لا غنى للباحث عنها، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

- ١- بالنسبة إلى الموارد التي اعتمدها ابن شهر آشوب في تفسيره - حسب ما صرح به في مقدمته - إما أن يكون محرراً لما قاله المفسرون والمتكلمون، أو محققاً لأقوالهم، أو مبتدئاً بها القول في التفسير.
- ٢- إن ابن شهر آشوب كان أميناً فيما نقله، فهو يعزو النصوص إلى قائلها، وقد ينتقدها أو يردّها.

٣- وظّف المصنّف عدّة مناهج في تأليف كتابه، منها اعتماده منهج تفسير القرآن بالقرآن بحمل التشابه على المحكم، انطلاقاً من أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وأيضاً اعتمد على منهج التفسير بالأثر، مستنداً إلى روايات أهل البيت عليهم السلام لتعزيد ما يذهب إليه، كما عوّل على روايات الصحابة، سيّما في مقام الاحتجاج.

٤- لاحظنا في بعض موارد تفسيره أنّه يعوّل على إجماع الأمة، ورأيه في الإجماع أن يكون قول الإمام المعصوم داخلاً فيه.

٥- حرص المصنّف على التوفيق بين تأويل النصوص وما دار على ألسنة العرب من استعمالات لغوية ونصوصٍ فصيحَةٍ، والاحتكام إلى ما هو معروف

من لغة العرب وأشعارهم، وقد أعانه على ذلك وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام.

٦- كان ابن شهر آشوب يورد أقوال المفسرين والمتكلمين والفقهاء واللغويين ومن مختلف المذاهب والمدارس والاتجاهات بعلمية وحيادية، ووجدنا فيما ينقله بين موقفين، الأول: الاكتفاء بعرض الآراء دون أن يبدي نظراً أو رأياً. والثاني: عرضه للآراء مبدئياً موقفاً في الترجيح والردّ والمفاضلة، وإنّ ترجيحاته وردوده كانت تقوم على نظراتٍ علميةٍ وأدبيةٍ ولغويةٍ دقيقةٍ.

٧- دافع الشيخ المازندراني عن آراء الإمامية ومعتقداتهم، وكان يقيم الأدلة القاطعة على كلّ متبنياتهم الفكرية والعقائدية، كما هو وارد في موضوع العدل والعصمة، وخلق القرآن، وما شابه ذلك، من دون جرح لمخالفهم أو طعنٍ أو تشهيرٍ.

٨- سلك المصنّف منهجاً متميّزاً في التأليف، فقد أخذ بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم وانفرد به عن سابقه، فجمع فيه الآيات ذات الموضوع الواحد في موضع واحد، مفسراً بعضها ببعض، متميّزاً بذلك عن بقية كتب المتشابهة التي دأبت على إيراد الآيات المتشابهة في سياقها من السور القرآنية بحسب ترتيبها في القرآن الكريم.

٩- نوصي بتقديم دراسةٍ للمسائل الكلامية الواردة في متشابه القرآن، تتناول هذه الدراسة أبحاثاً مختلفةً ومسائل متنوّعة في العقيدة، كمسألة الجبر، والاختيار، وتكليف الإنسان بما لا يطيق، ورؤية الله، ومسائل التوحيد، والعدل الإلهي، وغيرها ممّا دار حولها الجدل والنقاش بين أطراف المذاهب الإسلامية وعلمائها، ونوصي أيضاً بالكشف عن أسباب تلك الاختلافات وأسسها العقيدية والمعرفية؛ لتعطي للكتاب وجهاً آخر للبحث، ولتنفخ فيه روحاً علميةً متجدّدةً.

فهرس مصادر البحث

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. ابن النديم البغدادي، محمد بن إسحاق، فهرست ابن النديم، تحقيق: رضا تجدد.
٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الإكليل في المتشابه والتأويل، تعليق: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع.
٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: الدكتور عدنان زرزور، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٤. ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان.
٥. ابن حزم، أبو محمد علي الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، قوبلت على نسخة أشرف على تحقيقها: أحمد شاکر، الناشر: زكريا علي يوسف، القاهرة.
٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة.
٧. ابن زكريا، أبو الحسين، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٨. ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني، متشابه القرآن ومختلفه، انتشارات بيدار، قم، الطبعة الثالثة.
٩. ابن طاووس الحلبي، علي بن موسى، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، الطبعة الأولى، مطبعة الخيام، قم، ١٣٩٩هـ.

١٠. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره: السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
١١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تقديم يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
١٣. الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٤. آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م.
١٥. الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
١٦. البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تصحيح: محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٧. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي وهو جامع الصحيح، تحقيق وتصحيح: عبد الوهابي عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٨. التفريشي، مصطفى عبد الحسين، نقد الرجال، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٩. جار الله الزمخشري، محمد بن عمر، الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٢٠. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢١. الحر العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.
٢٢. الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ربيع الثاني ١٤١٧هـ.
٢٣. الحكيم، محمد تقي، الأصول العامة للفقهاء المقارن، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
٢٤. الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.
٢٥. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٦. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٧. الخوي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر- والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٢٨. الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين أو طبقات من فسر القرآن العظيم ومن وصف بمعرفة تفسيره، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٩. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة.
٣١. الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٣٢. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر- الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
٣٣. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٣٤. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى- الباي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثالثة.
٣٥. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
٣٦. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠
٣٧. السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسه الإمام الصادق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ.
٣٨. السيد ابن طاووس، علي بن موسى، كشف المحجة لثمره المهجة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٠-١٩٥٠ م.
٣٩. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٤٠. السيوطي، جلال الدين، طبقات المفسرين، دار الكتاب العلمية، بيروت.

٤١. السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٤٢. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، شرح محمد رضا آل كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٣. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلان، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٤. الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، كانون الثاني، ٢٠٠٠م.

٤٥. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، تعليق وتقديم الشيخ حسن الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٦. الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤هـ تحقيق: أحمد الأرنبوط وتريكي مصطفى، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ

٤٧. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٤٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين المختصين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٩. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم الشيخ خليل المس، ضبط وتوثيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للثقافة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥٠. الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، تحقيق الشيخ جواد الفيومي، مؤسسة نشر-



الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٥١. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب

قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٢. العك، خالد بن عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، الطبعة الثانية،

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٣. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عبد الحسين

محمد علي البقال، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثالثة، رمضان ١٤٠٤هـ.

٥٤. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي

المحلاقي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٥٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور

إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٥٦. الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران.

٥٧. الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥٨. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، صحّحه: الأستاذ الشيخ

حمزة فتح الله، وزارة المعارف العمومية، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٢٢م.

٥٩. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٠. كاشف الغطاء، محمد حسين، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة

الإمام علي (عليه السلام)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٦١. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٢. المازندراني، محمد بن علي (ابن شهر آشوب) متشابه القرآن والمختلف فيه، تحقيق وتعليق: حامد المؤمن، جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٦٣. المازندراني، محمد بن علي، المتوفى سنة ٥٨٨هـ معام العلماء، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦١،

٦٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٥. المحقق الحلبي، جعفر بن الحسن، المعترف في شرح المختصر، تحقيق وتصحيح عدة من الأفاضل بإشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة سيد الشهداء (عليه السلام)، قم، ١٣٦٤هـ ش.

٦٦. المرتضى، علي بن الحسين، الذريعة إلى أصول الشيعة، تصحيح وتقديم وتعليق: أبو القاسم كرجي، ١٣٤٦هـ ش.

٦٧. المرتضى، علي بن الحسين، تنزيه الأنبياء، دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٦٨. المرتضى، علي بن الحسين، غرر الفوائد ودرر القلائد، تصحيح وتعليق: السيد محمد نور الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي-النجفي، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.

٦٩. المزري، جمال الدين، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٧٠. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.
٧١. المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، تقديم: الدكتور حامد حفني داود، انتشارات انصاريان، قم، إيران.
٧٢. معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
٧٣. المفيد، محمد بن النعمان، أوائل المقالات، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٧٤. الميرزا النوري، حسين، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٧٥. الميرزا النوري، خاتمة المستدرک، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى، رجب ١٤١٥هـ.
٧٦. النوري، يحيى بن مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

فهرس البحث

٧	كلمة الناشر
٩	ملخص البحث
١١	مقدمة المؤلف
١٣	بيان موضوع البحث
١٤	ضرورة البحث وأهدافه
١٥	سبب اختيار الموضوع
١٦	منهج البحث وأسلوبه
١٦	الجديد في البحث
١٧	المعوقات والمشاكل
١٧	خطة البحث وتقسيماته

الفصل الأول

مباحث تمهيدية ٢١

٢٣	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وآثاره
٢٣	اسمه ونسبه
٢٣	ولادته ووفاته
٢٤	كلمات العلماء وأصحاب التراجم بحقه
٢٤	(أ) كلمات علماء الشيعة في حق المؤلف
٢٦	(ب) كلمات علماء السنة في حق المؤلف

٢٨	آثاره العلمية
٣٠	أساتذته ومشايخه
٣١	دواعي التأليف
٣٢	ظروف تأليف الكتاب وصعوباته
٣٣	المبحث الثاني: تعريف المحكم و المتشابه وحققيتهما
٣٣	تعريف المتشابه لغةً
٣٥	المتشابه اصطلاحاً
٣٦	المعنى القرآنيّ للتشابه
٣٧	المحكم لغةً
٣٨	المحكم اصطلاحاً
٤٠	الاختلاف لغةً
٤٠	الاختلاف اصطلاحاً
٤١	الاختلاف في التفسير والتأويل
٤١	العلاقة بين المحكم والمتشابه
٤٣	أهمّ كتب (متشابه القرآن)
٤٦	المبحث الثالث: تأويل المتشابه
٤٦	التأويل لغةً
٤٨	التأويل اصطلاحاً
٤٨	التعريف الأوّل
٤٩	التعريف الثاني
٤٩	التعريف الثالث
٥٠	التعريف الرابع



٥١ التأويل عند الأصوليين
٥١ علم تأويل المتشابه
٥٢ ١. الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه
٥٣ (أ) الأدلة المستمدة من أشعار العرب
٥٤ (ب) الأدلة المستمدة من القرآن
٥٥ (ج) الأدلة المستمدة من الروايات والأحاديث النبوية
٥٦ ٢. الراسخون في العالم لا يعلمون تأويل المتشابه
٥٦ (أ) ذمّ متبوعي المتشابه
٥٦ (ب) الأدلة المستمدة من الروايات والأحاديث النبوية
٥٧ ٣. الراسخون في العلم يعلمون قسماً من تأويل المتشابه

الفصل الثاني

تحليل مضمون الكتاب وبيان منهج المؤلف فيه ٥٩

٦١ المبحث الأول: أبواب الكتاب
٦٢ أقسام المتشابه في القرآن
٦٤ رأي ابن شهر آشوب في معنى المتشابه
٦٦ الحكمة من حصول المتشابه
٧١ أبواب متشابه القرآن
٧١ ١. باب ما يتعلّق بأبواب التوحيد
٧٣ ٢. باب ما يدخل في أبواب العدل
٧٤ ٣. باب ما جاء في النبوات
٧٥ ٤. باب ما يتعلّق بالإمامة

٥. باب المفردات ٧٦
٦. باب ما يتعلّق بأصول الفقه ٧٧
٧. باب فيما يحكم عليه الفقهاء ٧٧
٨. باب الناسخ والمنسوخ ٧٨
٩. باب ما جاء من طريق النحو ٧٨
١٠. باب النوادر ٧٩
- المبحث الثاني: خصائص ومميزات منهج ابن شهر آشوب في تفسير القرآن ٨٠
- عوامل نشوء المناهج التفسيرية ٨٠
- المنهج لغّةً ٨١
- المنهج اصطلاحاً ٨٢
- الاتجاه لغّةً ٨٣
- الاتجاه اصطلاحاً ٨٣
- الفرق بين المنهج والاتجاه ٨٤
- أقسام التفسير ومناهجه ٨٤
- أسباب تنوع التفاسير ٨٥
- النموذج الأوّل: ذكر الشيخ معرفة نوعين للتقسيمات ٨٥
- الأوّل: التفسير بالمأثور ٨٥
- الثاني: التفسير الاجتهادي ٨٦
- النموذج الثاني: تقسيم خالد بن عبد الرحمن العك ٨٧
- المنهج الأثريّ في متشابه القرآن ٨٨
- النمط الأوّل ٩٠
- النمط الثاني ٩١



- ٩٢ تفسير القرآن بالقرآن عند ابن شهرآشوب
- ٩٨ القسم الثاني: تفسير القرآن بالسنة
- ٩٩ القسم الأول: أقوال المثبتين للحجية
- ١٠٠ القسم الثاني: الرافضين لحجية خبر الواحد في التفسير
- ١٠٨ الجانب العقلي في تفسير متشابه القرآن
- ١٠٩ ١. موقفه من النظر والاستدلال في آيات الله
- ١١٠ ٢. رفضه للفكرة القائلة بأن المعارف ضرورية
- ١١١ ٣. رفضه التقليد في أصول الدين
- ١١٢ ٤. موقفه من عقائد الإمامية وانتصاره لها
- ١١٣ خلق القرآن
- ١١٥ العدل
- ١٢٠ النبوة
- ١٢٢ الإمامة
- ١٢٩ الجانب المألوي في تفسير متشابه القرآن
- ١٣١ المتشابه في القرآن: أسبابه وأقسامه
- ١٣٣ ١. دلالة اللفظ على معنيين أو أكثر
- ١٣٤ ٢. التقديم والتأخير
- ١٣٤ ٣. العموم والخصوص
- ١٣٥ ٤. الناسخ والمنسوخ
- ١٣٦ ٥. توهم الشبهة
- ١٣٨ اعتماد ابن شهرآشوب على الإجماع في تفسير آي القرآن



الفصل الثالث

مصادر كتاب متشابه القرآن وحضوره في كتب الشيعة ١٤١

- المبحث الأول: المصادر الرئيسية للكتاب ١٤٣
- القسم الأول: المصادر المذكورة بأسمائها في متشابه القرآن ١٤٤
- أ- كتب التفسير ١٤٤
- ب- كتب علوم القرآن ومعانيه ١٤٤
- ج - كتب التاريخ ١٤٥
- د- كتب الصحاح والحديث ١٤٥
- هـ - كتب عامة ١٤٦
- القسم الثاني: المصادر المذكورة بأسماء مؤلفيها في متشابه القرآن ١٤٩
- أ- كتب التفسير ١٤٩
- ١ - تفسير ابن عباس ١٤٩
- ٢- تفسير مجاهد بن جبر المكي ١٥١
- ٣- تفسير الحسن البصري ١٥٢
- ٤- تفسير قتادة ١٥٢
- ٥- تفسير السدي ١٥٣
- ٦- تفسير الضحاك بن مزاحم الهلالي ١٥٤
- ٧- تفسير أبي علي الجبائي ١٥٤
- ٨- تفسير البلخي ١٥٦
- ٩- جامع البيان في تفسير القرآن ١٥٦
- ١٠- التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي ١٥٩
- ١١- مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي ١٦٣



١٦٦	١٢- ابن شهرآشوب والسيد المرتضى
١٧١	ب - مصادره من السنة
١٧١	أسانيد ابن شهرآشوب في التفسير
١٧٣	مصادر ابن شهرآشوب من كتب اللغة والنحو
١٧٩	المبحث الثاني: حضور تفسير متشابه القرآن في كتب الشيعة الإمامية
١٧٩	متشابه القرآن في نظر أصحاب التراجم والطبقات
١٨٤	الاحتمال الأول
١٨٤	الاحتمال الثاني
١٨٤	الاحتمال الثالث
١٨٥	الخاتمة
١٨٧	فهرس مصادر البحث
١٩٥	فهرس البحث